

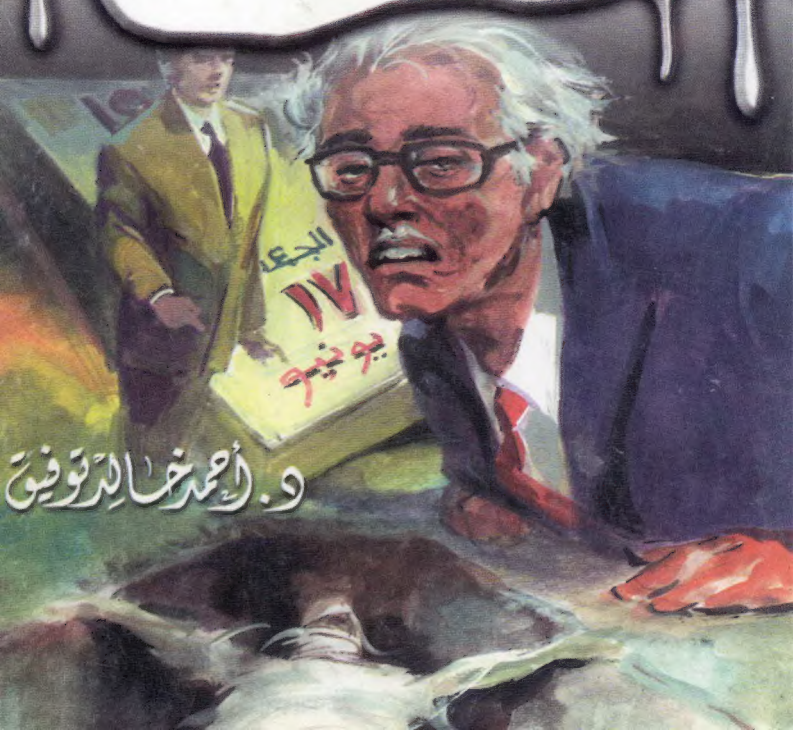
روايات مصرية الجيب



53

أسطورة النبوءة

ما وراء الطبيعة



د. أحمد رضا التوفيق

ما وراء الطبيب

روايات تحبس الأنفاس
من فرط القموض والرعب وال

روايات مصرية للجيب

أسطورة النبوءة

وداعاً أيها الغريب ..

كانت إقامتك قصيرة ، لكنها كانت رائعة ..

عسى أن تجد جنتك التي فقتشت عنها كثيراً ..

وداعاً أيها الغريب ..

كانت زيارتك رقصة من رقصات الظل ..

قطرة من قطرات الندى قبل شروق الشمس ..

لحناً سمعناه لثوان هنالك من الدغل ..

ثم هزنا الرعوس ، وقلنا إننا توهمناه ..

وداعاً أيها الغريب ..

لكن كل شيء ينتهى ..



د. أحمد خالد توفيق



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧

فاكس : ٦٨٣٧٠٠٣

التمن في مد
وما يعادله بالدولار الأمريكي
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم :
أسطورة العراف

53

روايات مصرية للجيب

ماورا: الطبيعة

أسطورة النبوءة

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصري مائة في المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية

الأستاذ/ إسماعيل دياب

إشراف

الأستاذ/ حمدي مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناسخ
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية.

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع - المطابع ١٠، ٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية - منال البيع ١٠، ١٦ شارع كامل صدقي الفحالة - ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى ووكسى
مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ - ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٥٨٦١٩٧ فاكس - 202/2596650 ج.م.ع

53

ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة النبوءة

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع
٢٤٨٦١٩٧ - ٢٤٣٠٥٥٥ - ٥٩٠٨٤٥٥

فاكس : ٢٤٣٧٠٠٢

مقدمة

ولكن لماذا لا أحكى قصة أخرى ؟

لماذا يفترض البعض أن علىَّ أن أصمت وأستمع ؟
لقد قضيت حياتي كلها أصمت وأستمع ، والآن يبدو
أن الوقت قد حان كي أتكلم فلا أفعل إلا الكلام .. إذا
لم يتكلم المرء وقد دنا من القبر ، فمتى يتكلم إذن ؟
أحيانًا أشعر بالخوف من الليل .. أحيانًا أشعر بالوحدة ..
فأعود مجرد طفل واهن يرتجف من الظلام ويتمنى
لو أضاء أحد أبويه ضوء غرفة النوم .. لكن ليس
من حق من كان فى عمرى أن يفكر فى أبوين ..
هذا ترف بيولوجى ليس متاحًا لى .. إذن لماذا
لا أضىء النور بنفسى ؟ لأننى لا أريد أن أترك الفراش
الدافئ ، وأن تطأ قدماى الأرض الباردة ، وهناك بينى
وبين المفتاح ألف خطر وألف كيان يمكن أن تجعل
رحلتى إلى القبر أسرع ..

لهذا سأظل فى الفراش كما أنا ، ولسوف أحكى
لكم بصوت لاهث مرتجف قصة جديدة .. مرعبة ؟

لا .. ليس الليلة .. هذه آخر ليلة أشتهى أن أحكى
فيها قصة مرعبة ..

لا أنكر أن نلك الرعب من المجهول يتسرب إلى سطور
قصة الليلة .. عدم الفهم .. الغموض .. لكن هذا يختلف
ولاشك عن المسوخ التى تقطر الدماء من أنيابها ..
إذن سأحكى لكم الآن .. و ...

من أضاء الغرفة ؟

أنا أعرف أنه ليس أنا .. وأعرف أنني وحيد فى
المنزل .. وأعرف

لاشك أن هناك عيًّا ما فى المفتاح الكهربى .. عيًّا
كريبها لابد من أن أعنى به غذا .. خشب الأرضية
كذلك من نوع غير جيد .. تصوروا ، إنه يصدر صريراً
كأن هناك من يمشى فوقه .. هذه البطانية ليست سميكة
بما يكفى لأن تياراً يتسرب إلى جسدى الذى كان دافئاً ..

دعونا إذن من هذا الهراء .. لن أزيح الغطاء عن
أذنى لأرى ما هناك .. أعطال الكهرباء وعيوب خشب
الأرضية والأغطية المغشوشة لا تستأهل أن أفسد
رقدتى المريحة كى

★ ★ ★

١ - محمود زاهر ..

بارد متوحد صموت مظلّم ..

كما فى الكوابيس ..

★ ★ ★

وداعاً أيها الغريب ..

كانت إقامتك قصيرة ، لكنها كانت رائعة ..

عسى أن تجد جنّتك التى فتشت عنها كثيراً ..

وداعاً أيها الغريب ..

كانت زيارتك رقصة من رقصات الظل ..

قطرة من قطرات الندى قبل شروق الشمس ..

لحناً سمعناه لثوان هنالك من الدغل ..

ثم هزّزنا الرءوس ، وقلنا إنّنا توهمناه ..

وداعاً أيها الغريب ..

لكن كل شىء ينتهى ..

★ ★ ★

لا حديث للكلية إلا عن (محمود زاهر) ..

هناك نوابغ ونوابغ .. إنك تقابلهم فى كل مكان هذه الأيام .. لربما وجدت بعضهم فى غرفتك ، ولربما وجدت أحدهم فى فرن الموقد .. ولربما قابلت أحدهم فى المجرور المفتوح فى شارعكم ، لكن دعنىؤكد لك أن (محمود زاهر) كان نابغة من طراز غير مسبوق ..

البداية كانت امتحانات آخر العام ، وهى امتحانات عسيرة بالتأكيد ، لكن - الأسوأ - أن أستاذ المادة من الطراز الذى يرى أن الطالب الجيد لم يخلق بعد ، وإذا وجد فلا بد أن يسحق .. أسئلة عسيرة حتى إننى احتجت إلى مراجعة بعض كتبى كى أجد إجاباتها .. وتساءلت فى حيرة : ما هى فرصة الطالب العادى فى امتحان كهذا ؟ طبعًا لم أبج بخواطرى هذه - فهذا ليس من حقى - وآثرت الصمت ..

طبعًا كانت هناك الكثير من الإغماءات الأنثوية ، وفقد بعض الطلبة أعصابهم فى اللجان ، أما العقلاء منهم فانتظروا حتى انتصف الوقت وغادروا اللجان ، وهم يرسمون

على وجوههم تعبيراً من طراز (ليكن .. لم يعد هذا مهما)
أو (خليها تخرب) .. دعك من الفتاة التي وقفت تصرخ
بالصوت الحيائى وتلطم الخدين ، توطئة لأن تدخل
فى نوبة تشنج هستيرى ارتعدت لها فرائص المراقبين ..
جو لزج وتعاسة عامة تتخلل مسام جلدك ، وأنسجة
قميصك ، بل وروحك ذاتها .. كيف تواجه العالم بروح
مبللة بالعرق ؟ لا أدرى ..

وفى أثناء تصحيح الأوراق كانت النتيجة متوقعة ..

لقد انتهى عصر المعجزات ، ولم يعد الامتحان
الصعب يعنى شيئاً إلا إجابات عجيبة ، أو لا إجابات
على الإطلاق ..

كانت كراسات الإجابة كلها تبعث على الضحك أو
البكاء لا أدرى بالضبط ..

هناك من كتب أى كلام من أى نوع ، وهناك من
رسم وجوه فتيات وزهوراً ، وهناك من ترك الورقة
بيضاء كعقل طفل رضيع ..

لا توجد استثناءات ..

لكن - فى العاشرة مساء وقعت عيناي على تلك
الورقة ..

فى البدء لم أصدق عينى .. رمشت بهما عدة
مرات كى أتأكد من أننى لا أهذى ..

لكن النتيجة واحدة دائماً ..

هذه أروع إجابة امتحان رأتها عيناي فى حياتى ..

★ ★ ★

بخط نضيد أنيق صغير .. الصفحات كلها مسودة ..
تم استعمال لون أسود للعناوين الفرعية مع الأزرق
الذى تمت به الإجابة .. كلا .. لا يمكن اعتبار هذه
علامة .. ولماذا يضع علامة ؟

إن هذه إجابات لم أر أروع ولا أدق منها ، ولو أن
(ويليام أوسلر) نفسه جاء ليوذى الامتحان لما
استطاع أن يفعل ما هو أفضل ..

ولكى يثير الفتى - أو الفتاة - غيظى كانت هناك أرقام فى نهاية الفقرات ، والأرقام تشير إلى المراجع التى استقى منها معلوماته .. إن فكرة ورقة إجابة ذات مراجع غريبة ، لكنها بين يدي الآن ولا شك فى هذا ..

رحت أفتش عن خطأ ما .. عن سهو .. عن زلة تدل على أن من كتب هذا كائن بشرى ، لكن لا .. لم أجد ..

الحقيقة هى أننى أمسك بورقة إجابة تخص أحد النوابغ .. وهم يمثلون طائفة بشرية ليس لها عنوان أو محل إقامة ثابت ، لكنك تعرفهم على الفور حين تقابلهم ..

ولم أجد مناصاً من أن أمنحه الدرجة الكاملة ..

كانت هذه ظاهرة ، وقد اتجهت فى اليوم التالى إلى غرفة الأستاذ وفتحت حقيبتى ولوحت فى وجهه بالورقة .. بعبارة أخرى دسستها تحت أنفه وصحت :

- « ما رأيك فى هذه ؟ »

كان يلوك بقايا شيء ما من الأشياء التي تلاك ،
فازدردوها وجرع جرعة من كوب الشاي ، وراح
يتأمل الورقة :

- « لا بأس .. لا بأس على الإطلاق .. »

قلت في عصبية :

- « لا بأس ؟ هذا الفتى - أو الفتاة - ليس طبيعياً ..
إنه ظاهرة .. »

في برود قال وهو يعيد إلى الورقة :

- « ليس لهذا الحد .. لاتنس ما يقوله الأستاذ
لتلميذه : سبع هي درجة جيدة .. ثمان معناها أنك
ممتاز .. تسع معناها أنك تعرف ما أعرف .. لكن
عشر درجات معناها أنك علمت شيئاً جديداً .. ولا تنس
أن المفترض أن يجيب الطالب الامتحان .. هذه هي
القاعدة وما يحدث استثناء .. لا أحد ينال جائزة نوبل
لأنه يغسل يديه قبل الأكل ، لأنه من المفترض أن
يغسل الناس أيديهم قبل الأكل .. »

- « ليس إذا ما غسلوا أيديهم بالكلور .. لا تتكرر
أن التميز موجود .. وهذا الطالب متميز .. »
- « ربما كان الآخرون مجموعة من الحمير
لا أكثر .. »

لم أجد ما أقول ، ففادرت المكتب وأنا أفكر فى
أننى سأعرف هذا الطالب فيما بعد .. سأفهم لماذا
هو عبقرى إلى هذا الحد المريب ..

لا أدري لماذا أشعر بالمهانة كلما قابلت عبقرياً ..
كأننى تلقيت صفة على قفاى .. هذا بشر مثلى
ومثلك وبرغم هذا .. برغم هذا .. لا أعرف من أين
يأتى هؤلاء ..

★ ★ ★

كانت هذه من الفترات الهادئة فى حياتى .. ومعنى
هذا أن مصيبة ستحدث قريباً جداً .. لقد اعتدت على
أن يعقب الهدوء صخب .. وكنت أرتجف قلقاً وذعراً ..
ترى ما (شكل الأشياء القادمة) مع الاعتذار لعنوان

ذلك الفيلم الأمريكى الشهير ؟ هل المشكلة القادمة
مرعبة أم هى - فقط - غريبة محيرة ؟

وفى هذه الفترة بالذات بدأت الامتحانات الشفهية ،
وكانت هذه المرة الأولى التى ألقى فيها (محمود
زاهر) وجها لوجه ..

كنا فى هذه الفترة ، نضع أمامنا ورقة امتحان الطالب
التحريرية لنقارن إجاباته المكتوبة بكلامه .. لقد أعاد
الكونترول لصق البطاقة التى تحمل اسم الطالب ورقم
جلوسه على أوراقه ، وبالتالي صار كائنًا بشريًا من
لحم ودم .. له اسم وصورة وعنوان ..

كانت ورقة إجابته من نصيبى ، وسرنى هذا كثيرًا ..
الحقيقة أن أصابعى راحت ترتجف مع خلل فى ضربات
قلبى هو ما يدل على الحماسة بالنسبة لى .. سأرى
هذا العبقرى ! سأعرف كيف يتكلم ويفكر ..

كان الاسم هو (محمود أحمد زاهر) .. وقد
وضعت الورقة جانبًا فى مكان متميز ، ورحت أصغى
بنصف ذهن إلى إجابات رفاقه المعهودة الكنيية ..

- « ما أسباب فقر الدم قليل الصبغة ؟ »

فينظر الفتى للسقف وهو يحرك ساقيه فى عصبية
ثم :

- « طاخ .. طيخ .. بوم .. طاخ .. أوع .. طاخ ..
ومن الأسباب الأخرى أن .. بوم .. طاخ »

- « كفى .. كفى .. قل لى الصورة السريرية لسرطان
الدم الحاد »

- « طاخ .. طيخ .. بوم .. طاخ .. أوع .. ويمكن
أيضاً أن نرى .. طاخ .. أوع .. هاع ! »

- « كفى .. كفى ! »

هكذا تمضى الدقائق حتى يأتى دور (محمود زاهر) ..

كان نحيلاً إلى حد لا يصدق .. طبعا .. لا أسمح
لأى عبقرى كان أن يكون بديناً باستثناء (صلاح
جاهين) .. كان يرتدى ثياباً عادية تماماً .. وكأنت
عيناه أليفتين وديعتين لا تحملان ذلك الوهج الخاص
بالعابرة .. باختصار كان مخيباً للأمل ..

- « إجاباتك رائعة يا (محمود) .. »
فهز رأسه فى حركة متواضعة على شىء من البلاهة ..
- « من أين جئت بهذه الإجابات النموذجية ؟ »
من جديد هز رأسه فى تواضع وقال :
- « من هنا .. وهناك »

وهى إجابة غبية لاتوحى بأى ذكاء .. لكن لا بأس ..
العباقرة الحقيقيون لا يعطون انطباعًا بأى شىء غير
عادى ، وهم دائمًا عاطلون من (الكاريزما) .. يقال
إن الشاعر العبقري (بيرم التونسي) كان يجلس فى
المقهى فلا يتكلم إلا عن الطعام وأصنافه ..
وبدأت أسأله (الفتى لا بيرم طبعًا) ..

هنا بدأت أشعر بخيبة أملى تتزايد .. تتفاقم .. تزدهر ..
- « طاخ .. طيخ .. بوم .. طاخ .. أوع .. ويمكن
أيضًا أن نرى .. طاخ .. أوع .. هاع ! »
هذه إجابات غبية عادية لا يميزها شىء .. ربما
هى الأسوأ بين إجابات رفاقه ..

فى النهاىة ضم ياقة قميصه إلى أعلى صدره ،
وقال فى تملق :

- « عسى أن أكون قد أحسنت .. »

- « ممتاز .. »

قلتها وأنا أتميز غيظاً ..

هذا الفتى لا يملك أى تفوق خاص .. إنه واحد آخر
من القطيع .. فكيف كتب ورقة الإجابة العجيبة هذه ؟
هذا لغز لابد من أن أعرف سره .. ثمة تفسير واحد ..

فى الواقع ثمة أكثر من تفسير ..

★ ★ ★

وداعاً أيها الغريب ..

كانت إقامتك قصيرة ، لكنها كانت رائعة ..

عسى أن تجد جنتك التى فتشت عنها كثيراً ..

★ ★ ★



هذا الفتى لا يملك أى تفوق خاص .. إنه واحد آخر من القطيع ..
فكيف كتب ورقة الإجابة العجيبة هذه ؟! ..

٢ - عادل توفيق ..

- « لا بأس .. هذا هو رهاب الامتحان الشفهى »

كان قائل هذا هو زميلى د. (رأفت) .. ظننت هذا واضحاً .. إذ من مثله يتكلم بهذه النبرة الشاردة قليلاً ..

وأردف وهو يجمع أوراقه ليرحل :

- « إن العقل البشرى أداة غريبة .. إنه يظل يعمل منذ تولد حتى يوجه إليك أول سؤال فى لجنة الامتحان الشفهى .. عندها يصاب بالتوقف .. »

أعرف هذا .. أقسم بالله إننى أعرف هذا .. لو كان يعتقد أنه أكثر منى فهما للضعف البشرى وحدود الإنسان فهو مخطئ .. لكن ...

قلت له منتقياً كلماتى :

- « هنا يكون من الجلى للممتحن أن الفزع هو

السبب .. لكنك تستطيع أن تجد وهجاً خاصاً فى كلام
الفتى .. فى منطقه .. فى عينيه .. شىء يخبرك أنه هو
حقاً من كتب الإجابات الشفهية المبهرة .. أما هذا الفتى .. «

وفتحت ذراعى بحركة ذات معنى :

- « فلايملك أى بريق .. إن ذكاهه لايفوق ذكائى

فى شىء .. »

- « يا سلام .. لماذا تلومه إذن ؟ »

- « لأننى لم أكتب ما كتبه هو فى الامتحان

التحريرى .. »

جلس د. (رأفت) وقد بدا أن الأمور ستروق له ..

لقد صار هذا مسلياً ..

قال لى :

- « وماذا تقترح أنت ؟ »

قلت وأنا أجلس بدورى وقد سرنى أن هناك من

يصغى لى أخيراً :

- « الجواب معروف .. أعتقد أن هذا الفتى كان يعرف موضوع أسئلة الامتحان التحريري من قبل .. وقد تدرب على الإجابة كثيراً جداً .. »
بدا عليه عدم التصديق وغمغم قائلاً :

- « هذا يفتح أبواب الجحيم على الجميع .. تسرب أسئلة امتحان ! من الأسهل أن تتهم الفتى بقتل (كنيدي) أو حرق روما .. ثم إنك تعرف أستاذ المادة .. وتعرف أنه لا شيء يمتعه قدر أن يتعذب الطلاب أمام أسئلة لا جواب لها .. هل تعتقد أنه يتنازل عن هذه اللذة مقابل مال ؟ »

حقاً لا .. لا أتصور أن يتنازل الرجل عن لذته السادية مقابل مليونين من الجنيهات .. إنه قاس سادى لكنه شريف .. لا أحد ينكر هذا .. وسبب شرفه أن لذة التعذيب تفوق لذة الثراء عنده ..

فكرت ملياً ثم قلت :

- « هل من سبيل آخر للتسرب ؟ »

قال باسمًا :

- « أنت تعرف أن هذا مستحيل .. الرجل حذر وحريص جدًا .. لو تسربت اسئلة الامتحان فلا سبيل لذلك إلا الأستاذ نفسه .. »

ثم قرر أن الجزء الممتع من المناقشة قد انتهى ،
فراح يجمع أوراقه من جديد وقال لى :
- « لماذا لا تخبر العميد بشكوكك ؟ »

قلت فى كياسة :

- « من الغريب نوعًا أن أشكو له لأن أجوبة أحد الطلبة ممتازة .. لا يوجد دليل قوى ملموس .. خاصة أن كلامي كما تقول أنت سيفتح أبواب الجحيم ، وسيظن العميد أنني أعرف أكثر مما أقول .. »

- « إذن .. لماذا لا تمارس الحل القديم العبقري ؟ »
- « وما هو ؟ »

- « انس الموضوع واخرس .. »
حقًا .. أنت عبقري يا (رأفت) .. إن أروع الحلول هو أبسطها دائمًا ، وبالطبع لم يخطر لى ببال ..

★ ★ ★

حين علقوا النتيجة هرعت لأراها على سبيل
الفضول ..

أردت أن أرى ما حققه الفتى فى بقية المواد ،
وهى بالطبع ليست نزهة .. وبالفعل وجدت أنه لم
يحصل على تقدير الامتياز فى أية مادة ..
ما معنى هذا ؟

معناه على الأرجح أن إجابة الفتى كانت مبهرة
كالعادة فى كل الامتحانات التحريرية ، بينما كان
مخيباً للآمال فى الامتحانات الشفهية .. امتزج العلقم
بالعسل فصار الناتج سائلاً ليس كريهاً وليس حلو
المذاق ..

لكن كثيرين لاحظوا الشيء ذاته ، وبين الأساتذة
بدأت همسة تتكرر :

- « (محمود زاهر) »

سيذكر كل أستاذ فى الكلية أنه - لمرّة على الأقل -
رأى ورقة الإجابة التى يعجز هو عن كتابتها ..

وتساءلت أستاذ فى قسم الأمراض الجلدية وهى
تضرب كفاً بكف :

- « من أين جاء هذا الفتى ، وما سره ؟ »

★ ★ ★

- « لا سر له .. »

قالها لى (عادل توفيق) وهو من طلبتى ، لكنى
أعتبره صديقاً حميماً .. وهو - بشكل أو آخر - جاسوسى
الخاص بين زملائه .. لا أعنى أنه ينقل لى شيئاً
مهماً إلا ما قاله الطلاب عن تلك المحاضرة أو تلك ..
ما فهموه وما لم يفهموه .. ما يكرهونه فى وما يحبون
(إن كانوا يحبون شيئاً ما) ..

أضف لهذا أنه يؤدى دور ضابط الاتصال بينى
وبين العالم الذى صار قصيماً .. عالم الشباب ..
أفكارهم .. تعبيراتهم .. طموحاتهم .. ومن حين لآخر
أسمع منه آخر الأخبار كى أبقى معاصراً ولا أتحول
إلى (ماموث) متحجر ..

سألته فى مكتبى عن هذا الـ (محمود زاهر) ..
هل هو عبقرى ؟ هل له قريب فى ألمانيا يدعى
(روبرت كوخ) أو قريب فى إنجلترا يدعى (هالستيد) ؟
هل ينزف دما أزرق حين يجرح ؟

فقال لى وقد رسم على وجهه علامات التقرز :

- « ليه لايمك أية موهبة .. وحيثه أغبى من مستقع .. »

بدت لى هذه الإجابة تناسب بالضبط آرائى الخاصة
عن الفتى ، فعدت أسأله :

- « هل تعنى أنه معكم من فترة ؟ »

- « من السنة الإعدادية .. »

كان الطب فى تلك الأعوام مسبقا بسنة تدعى
(السنة الإعدادية) .. وعلى كل حال معنى هذا أن
الفتى لم يأت من الفضاء أو من عالم الأطياف ..
أنتم تعرفون أننى أرتاب فى الطلبة الذين يظهرون
فى الكليات فجأة .. ولى معهم خبرات غير مريحة ..

- « ولم يظهر أى تفوق من قبل ؟ »

مط شفتيه فى مزيد من الاشمزاز الفلسفى :

- « بالطبع لا .. »

عدت أحك صلعتى مفكرًا .. وسألته :

- « وتلك الإجابات المبهرة التى ؟ »

قال فى ضيق :

- « مجرد محظوظ آخر .. هناك طلاب لا يقرءون إلا الصفحة السابعة والعشرين من الكتاب ، وفى لجنة الامتحان لا يكون هناك إلا سؤال واحد هو من الصفحة السابعة والعشرين .. أما تعساء الحظ على شاكلتى فهم إذا حفظوا الكتاب غيبًا ، ونسوا أن يحفظوا السطر العاشر من الصفحة التسعين ، كان معنى هذا أن الامتحان قد تحدد : أكتب السطر العاشر من الصفحة التسعين ! »

ثم هز رأسه كأنما يتناسى هذه الذكريات الموجهة :

- « مجرد محظوظ آخر .. واحد من هؤلاء الذين لم يكتشف أحد أنهم حمير جر حتى اليوم .. »

ابتسمت برغمى وبرغم غيظه المستعر ، فتعبيراته راقت لى ، وإلى حد ما أنا أفهمها .. لكن هذه ليست

الإجابة .. قانون الصدفة ليس جاهزاً ليرد على كل شيء فى كل لحظة .. أنا لا أؤمن بهذا .. إن المصادفات تحدث وكثيراً جداً ، لكن من العسير أن تبني عليها استنتاجاتك أو خططك ..

عدت أسأله فى كياسة وبصوت خفيض :

- « هل تعتقد .. »

وابتلت ريقى باحثاً عن كلمات مناسبة :

- « لنقل إننى أفترض ولا أتهم أحداً .. هل هناك ما يحملك على الاعتقاد بأن هذا الفتى كان يعرف الامتحان مسبقاً ؟ »

بدت عليه حيرة غبية ، وقلب السؤال فى ذهنه مراراً ، ثم قال :

- « لا أعتقد يا سيدى .. لو أن شيئاً كهذا حدث لعرفناه على الفور .. فى الغالب لا يستطيع فتى كهذا أن يكتم سره طويلاً .. لا بد أن يخبر به أحد الذين لا يستطيعون الكتمان طويلاً .. وهكذا . حتى لو لم

يعرف أساتذة الكلية شيئاً ، فإننا نحن الطلبة نعرف
فيما بيننا .. وتعالى الهمسات .. »

ثم نظر إلى ساعته واستأذن كي ينصرف .. كنت
أعرف أنه مشغول دائماً لا أدرى بأى شىء .. لكنه
أكثر انهماكاً من رئيس وزراء نشط ..

وحين جلست وحدى فى المكتب قلت لنفسى :
لابأس .. ثمة شىء ما لا يمكن فهمه ولا تفسيره ..
لكن دورى انتهى هنا .. لم أعد مولعاً بدس أنفى فى
كل شىء كما كنت فيما مضى ..

وبالطبع لم أكن أعرف أن هذا الموضوع هو
قصتى القادمة ، ولا أن الأمور سترتفع من تلقاء
نفسها إلى أنفى لتجعله يندس فيها برغمه ..

★ ★ ★

نحياً تعساً مبغثر الثياب خجولاً ، يقف على باب
مكتبى وهو ينقل قدميه علامة على الارتباك .. مضى
ربع دقيقة وأنا لا أشعر بأنه هناك على باب غرفتى ..

كنت أصغى باهتمام إلى مريضة عجوز ثرثرة تجلس على فراش الكشف وتحكى قصة حياتها منذ أن كانت - وهى رضية - تفضل الكراوية على الينسون ، والسبب هو أن لبن أمها يسبب لها عسر الهضم ..

هنا شعرت بوجوده .. عرفته على الفور ..

- « تعال يا محمود .. »

فhez رأسه وتقدم إلى داخل الحجرة ، وانتقى مقعدًا ليجلس عليه .. كانت لديه عادة لم أحبها كثيرًا هى إدخال إصبع فى أنفه لينقب كلما شعر بالارتباك .. وأدركت أننى لن أصافحه مهما حدث ..

ماذا يريد منى ؟ هل جاء ليعتذر ؟ عن أى شىء ؟

شرحت له بالإنجليزية تفاصيل الحالة ، فراح يهز رأسه فى ذكاء ويقول مرارًا وتكرارًا :

- « فقر دم .. آه ! نعم .. فقر دم .. »

وكنت معتادًا على الغباء ، لكن هذا الفتى لم يكف عن إبهارى بأسوأ الاستنتاجات وأغبي التعليقات ..

حتى دعاباتي العابرة لم يفهمها برغم أن العجوز
الأمية ضحكت لأنها راقّت لها .. واكتفى هو بترديد :

- « آه ! فقر دم .. هذا مهم .. »

فى النهاية شكرت المريضة ، وانتظرت حتى
غادرت الغرفة ، فجلست فى مقعدى وسألته :

- « حسن ؟ »

وأرجعت ظهري للوراء ، وعقدت أناملى لأوحى
بالنهم الفكرى ..

قال فى شىء من الحرج وإصبعه لا يفارق أنفه :

- « الحقيقة أن لدى رسالة مهمة لسيادتك .. رسالة

من صديق .. »

- « هل لى أن أعرف من هو ؟ »

ابتسم فى بلاهة وقال :

- « أوصانى ألا أتكلم أبداً .. »

- « هذا جميل .. على الأقل قل الرسالة .. »

قال كأنما يملأ درساً راجعه ألف مرة :

- « يقول لك أن تحترس .. مساء يوم الجمعة
١٧ يونيو .. »

ملت نحوه ونظرت إليه مدققاً .. بعد قليل سألته
السؤال الوحيد الممكن :

- « أحترس من أى شيء ؟ »

- « لم يفصح .. »

- « من هو الذى لم يفصح ؟ »

- « هذا الذى أوصانى ألا أتكلم .. »

هل هذا تهديد ؟ من الواضح أنه ليس كذلك .. الفتى
لا يمارس دور القوى .. وبالتأكيد ليس الأمر بهذه
البساطة كأنما يريد منى ألا أبحث أكثر فى موضوع
الامتحان المتسرب .. كلا .. هذا جدير بأفلام المافيا
لكن ليس هذا الفتى الخائف ..

لكن لا يوجد تفسير آخر لهذا الذى يقول ..

قلت له وأنا لا أبدل من جلستى :

- « هل تعتقد أننى سأصدق حرفاً ؟ »

قال وهو يتضرع حمرة :

- « فى الحقيقة لا .. لكنى أتوسل لك أن تصدق
يا سيدى .. أنا لم آت إلا للمصلحة .. نحن نحبك
ونكره أن يصيبك مكروه .. »

كنت أستطيع أن أكون فظاً .. وهذا من حقى ..
ولن ألوم أى واحد آخر يمسك بتلابيب الفتى وينتزع
منه تفاصيل الموضوع ، لكنى بالطبيعة أكره إرغام
الصحفى على كشف مصادره .. ثم إن الفتى واهن
حقاً .. مرتبك حقاً .. كأنه دجاجة . وأنا لا أقدر على
إيذاء أو ترويع دجاجة ..

قلت له فى برود :

- « ليكن .. أنت أبلغتنى برسالة .. صحيح أنها
غامضة محيرة ، لكنها وصلت .. ولو شعرت بأنك تريد
التحرر من وعدك ، وتريد إبلاغى بتفاصيل أكثر ..
فأنا أرحب بك .. »

هز رأسه فى ارتباك ونهض ومد يده يصافحنى

شاكراً معذراً عن كل هذا الإزعاج .. ثم انصرف ..
ولدقائق ظللت أرمق الباب الذى خرج منه شارد
الذهن ..

ثم تذكرت أنتى صافحتة .. فانصرف تفكيرى إلى
أمر أخرى !

★ ★ ★

٣ - كاميليا ..

موعد هذه الليلة ..

لا ليست هذه ليلة الجمعة إياها لو كان شيء كهذا
قد جال بخاطركم ..

كان عندى موعد مع الدكتورة (كاميليا) أستاذ
الفلسفة .. أنتم تعرفونها جيداً .. وأكون شاكرًا لو أزلتم
عن شفاهكم هذه البسمات الخبيثة ، والنظرات التى تقول
بوضوح تام (أيوه ياعم) .. كلا .. ليس الأمتز كذا ،
وأنتم تعرفون الدكتورة (كاميليا) وتعرفون أنها
لا تمثل لى إلا صديقًا ذكيًا .. فقط هو طويل الشعر
بالمصادفة ، وتحمل خلاياه زوجين من الكروموسومات
من طراز XX بدلاً من XY .. هذا كل شيء .. وهذا
ليس سببًا كافيًا كى أقطع علاقتى بها .

د . (كاميليا) عصبية نوعًا .. من الطراز الذى

يرى أن (الأمور لم تكن قط بهذا السوء) .. لكن عقلها جبار ولا أنكر هذا .. من الجميل أن يلقى المرء من حين لآخر من يشعر أمامه بأنه غبي .. هذا يجعلك تتخلى عن الشعور المزعج بأنك أذكى إنسان عرفته ..

كان لقاؤنا فى مطعم على شىء من الرقى ، وقد استعدت لهذا واخترت البذلة الكحلية على سبيل التغيير ، وكنت عاكفاً على حلقة نفثى حين دق جرس الهاتف ..

- « د . (رفعت) ؟ »

- « أنا هو .. »

جاء الصوت الواثق الثابت كيد رام محترف :

- « حاول أن تتصرف من المطعم قبل العاشرة ! »

مرت لحظة أحاول ابتلاع هذا الذى قيل فيها .. كان يحمل الكثير من الحقائق .. لكن الوقت لا يتسع كى أفند كل شىء ..

قلت بالعصبية اللازمة :

- « من المتكلم ؟ »

قال بنفس البرود الثابت :

- « شخص يهمله أمرك .. »

- « وماذا سيحدث فى العاشرة ؟ »

- « الكثير من الأذى .. »

وظل منتظراً رد فعلى ، ولم يضع سماعة الهاتف
كما توقعت فى هذه الأمور .. قررت أن أغيظه فقلت
فى برود وقد استجمعت شتات أعصابى :

- « شكراً .. »

ثم وضعت السماعة .. طبعاً هو كان يتحرق للمزيد
من (اللت والعجن) .. إنها متعة غير عادية أن
تلعب دور الغامض العليم ببواطن الأمور وأن يسألك
الآخرون فى لهفة عما تعرفه ..

حسن .. أنا حرمته هذه المتعة وإنها لقسوة غير
عادية منى ..

لكنه يستحق ..

★ ★ ★

- « لكك لست على ما يرام .. »

قالتها (كاميليا) وهى تراقبنى وأنا أعبت بالشوكة
فى طبقى شارد الذهن .. كان المطعم راقياً بالفعل ..
موسيقا ساكس تنبعث من مكان ما ، وإضاءة خافتة
تجعلك غير متأكد مما إذا كنت تأكل لحمًا أم صراصير ..
شموع غليظة حمراء على الموائد تذكرك بحفلات
إحياء الزومبى فى الكاريبي .. وهمس يخيم على
الجو قادمًا من الموائد المحيطة بنا .. كل شيء رائع
ولا ينقصه إلا أن نكون حبيبين يعيشان حلمًا ، وهو
ما لم يكن واردًا للأسف .. رجل أصلع نحيل كسحلية
يحاول اصطيد المكرونة بشوكتته ، يجلس مع أستاذة
فلسفة مسنة عصبية كذيل القط ..

كنت بالفعل شارد الذهن متعكر المزاج قليلاً ..

التاسعة والنصف .. ترى ؟

قلت لها وأنا لا أرفع عينى عن الطبق :

- « لا شيء .. مشاكل العمل كما تعرفين .. »

قالت فى خبث :

- « أم البزید من المیتافیزیکا ؟ »

قلت لها وأنا أهز کتفى :

- « ید مومیاء تريد العودة لقبرها .. أكلة لحوم
بشر یعیشون فى مجارى (لندن) .. حفل یؤمه بعض
ملوك الفراعنة لیمثلوا أدوارهم فى الحياة .. مسخ
یطارد من ارتبطت حیاتهم بالرقم ۱۳ .. باختصار :
وتيرة حیاتی المعهودة .. »

- « الإیقاع الرتيب الممل إياه .. »

- « نعم .. »

وشاعت على وجهها ابتسامة ساخرة وقالت :

- « أحيانا أشعر بأنك مجذوب أو مخبول .. لكن
الدلائل »

قلت لها فى سماجة :

- « لقد مر وقت طويل على الزمن الذى كنت أحاول فيه
التظاهر بأننى رائع .. أنا هو أنا .. خذینى أو اترکینى .. »

قالت وهى تعقد يديها تحت ذقنها الحادة :

- « أنت خشن الطباع كذلك .. »

- « حدث ما يقلقتنى نوعا هذه الليلة .. »

العاشرة إلا الربع ..

وما لم أقله لها هو أننى بالفعل أشعر بالتوتر ..

تلك الحاسة العجيبة التى لدى - ربما كانت سادسة
أو سابعة لا أدرى - تقول لى بوضوح تام :

غادر هذا المكان حالا .. لا تبق أكثر من هذا .. فر كأتما
الجحيم يطاردك ..

لماذا ؟ لا أدرى .. لكن القطط تتوتر لأسباب كهذه
قبل الحرائق ، والنمل يغادر جحوره لأسباب كهذه
قبل الزلازل ..

ورفعت عينى لأرملق الموائد المحيطة .. لا يبدو أن
هناك سفاحا مجنونا أو قاتلا محترفا ينتظرنى .. صحيح
أن الظلام دامس لكن بوسعى أن أرى ظلال الوجوه فى
ضوء الشموع .. كل واحد يثرثر مع جليسته ولا يهتم
بما يدور حوله ..

ولكن .. لحظة ..

هل ترى هذه المائدة الصغيرة على بعد خمسة أمتار منا ؟

هذا الرجل الجالس إليها .. ألا يبدو مألوفا بشكل ما ؟
ألا ينظر لى فى ثبات ؟

لماذا ينظر لى فى ثبات ؟ ربما لأننى أنظر إليه ؟
لكن لا .. أنا متأكد من جلسته إنه يراقبنى فى ثبات
ومن زمن ..

لا أتبينه بوضوح لكنه يرتدى بذلة أنيقة .. وفى
يده قداحة ذهبية تلمع فى ضوء الشموع ، يحملها
ثانياً رسغته بأناقة تذكرنى بالأخ (جيمس بوند) فى تلك
الأوضاع التى يجيدها ..

لماذا هذا التوتر الغريب ؟

النداء فى مؤخرة رأسى يكرر بلا هوادة :

الآن .. الآن يا أحمرق .. يجب أن ترحل .. يجب ..

ومن مكان ما جاء صوت (إلفيس بريسلى)
الرخيم يقول :

« أرى تغييراً آتياً إلى حياتنا ..

« لم تعد الأمور كما كانت ..

« ولم يفت الوقت بعد كي ندرك الحقيقة ..

« نحن لا نناسب بعضنا .. »

الصوت الرخيم الذى جعل النقاد يصفونه بأنه
صوت زنجى يخرج من حنجرة بيضاء .. الغريب أنه
يزيد من توترى وكان الأحرى أن يهدئنى ..

الرجل الجالس يرفع معصمه .. ينظر فى ساعته ..
يهز رأسه فى حسرة ..

إنه يدس يده فى جيبه .. ماذا سيخرج منه ؟

« لقد ولى الحب وتركنا مجرد صديقين ..

« كل مابقى لنا هى الذكريات ..

« حين كنا نحسب أننا نبالى ببعضنا .. »

إنه يلقي ببعض الأوراق المالية تحت كأس .. ثم
يمشى فى تودة نحو باب الخروج دون أن ينظر لنا ..

العاشرة إلا خمس دقائق ..

هنا كان النداء فى أعماقى قد تحول إلى صراخ ..

« يوماً ما حين تكبر ابنتنا ربما تفهم ..

« لماذا لا يعيش أبواها معاً ..

« إن الدموع التى ستسيل من عينيها .. وأنا أودعها ..

« ستدمى قلبى للأبد .. »

هنا جاءت اللحظة ..

مسحت فمى بالمنشفة .. نهضت وألقيت على
المائدة ببعض الأوراق المالية ، وصحت فى (كاميليا)
أن علينا الرحيل حالا ..

- « لكننا لم نفرغ من الأك ... »

- « فيما بعد .. سأدعوك إلى بعض الشطائر ..

فيما بعد .. »

فى توتر تناولت حقيبتها ولحقت بى وأنا أجد
السير نحو الباب .. واستطاعت برغم كل شىء أن
تبتلع ما فى فمها وأن تقول شيئاً على غرار :

- « إن أطوارك الغريبة هذه سوف تقودك إلى
البيمارستان .. وأنا معك .. »

« أرى تغييراً آتياً إلى حياتنا .. »

« لن تظل الأمور كما كانت .. »

لكنى كنت قد وصلت إلى السيارة العجوز الواقفة
وسط السيارات الأخرى فى الظلام .. فتحت لها الباب
وجلست خلف المقود .. بينما الصوت الذى يتردد
داخلى قد راح يهدأ ثانية ..

نجوت ! نجوت !

جاء منادى للسيارات يظهر لى مدى حماسه وإخلاصه ،
بأن يقف أمام السيارة كى يمنعها من الانطلاق ،
وبمنشفة متسخة راح يحيل الزجاج الأمامى إلى سطح
رمادى متجاسس .. وكنت أنا نافذ الصبر إلى حد أن

هنا سمعته يصيح فى دهشة :

« يا ساتر يارب !! »

وأخرجت رأسى من النافذة لأن الزجاج الأمامى صار جسمًا معتمًا كرية الرائحة .. فرأيت .. رأيت السنة اللهب تندلع من المطعم .. من النوافذ السفلية ..

وحش مزمر متوحش يحاول التحرر .. وصرخات النساء تتعالى .. طبعًا هى الأعلى من صرخات الرجال والأكثر تأثيرًا .. وارتجفت ..

فتحت باب السيارة ووقفت أنظر إلى هذا المشهد المرعب شاعرًا بالعجز التام .. لو أُلقيت بنفسى وسط النيران فلن يستفيد أحد .. ولو ظلمت حيث أنا لاتهمت نفسى بالجبن ما بقى من حياتى ..

ماذا أفعل ؟ صحت فى الرجل بحسم :

- « فليطلب أحدكم رجال الإطفاء يا أحمق .. ماذا تنتظرون ؟ »

فتح فمه ليتكلم .. لكن الأضواء الحمراء والسريينة أخرسته على الفور ..



وأخرجت راسي من النافذة لأن الزجاج الأمامي صار جسمًا
معتماً كره الرائحة .. فرايت .. رأيت السنة الذهب تندلع من المطعم ..

وفى اللحظة التالية تحول المكان إلى خلية نحل ..
الرجال ذوو المعاطف الجلدية يركضون هنا وهناك ..
ومن يفتح المضخة ومن يحمل (الباشبورى) ..
ومن يصرخ ومن يستغيث .. ومن يشاهد هذا كله ..
غريب حقاً أن تصل عربة الإطفاء بهذه السرعة ..
لابد أنهم تحركوا قبل أن يفكر الحريق فى أن ينشب ..
هذا هو التقدم الحق ..

طبعاً كان من العسير تحديد عدد الضحايا ولامدى
كفاءة عملية الإطفاء ، لكن لاينكر أحد أنها أسرع عملية
إطفاء فى التاريخ .. ولو كان هناك ضحايا فيكفيننا
القول إنه لم يكن بوسع مخلوق إنقاذهم فى أى موضع
من الأرض ..

وبعد نصف ساعة من الشرود والشهيق والذهول ،
أدركت محرك السيارة وابتعدت .. بينما (كاميليا) ترتجف
كورقة .. أو كفضضفة الخواجة (جالفانى) التى
كان سيطبخها لزوجته على العشاء ..

وما زال صوت (الفيس بريسلى) يتردد فى
مؤخرة ذهنى :

« إن الدموع التى ستسيل من عينيها .. وأنا أودعها ..

« ستدمى قلبى للأبد .. »

★ ★ ★

٤- فوزى شفيق (١) ..

حمداً لله ..

لم يمت أحد .. بل إن الإصابات طفيفة كلها ..
عرفت هذا من الصحف بعد الحادث بيوم .. وكانت
تشيد طبعاً بيقظة رجال الإطفاء الذين وصلتهم
إخبارية تفيد بأن النيران اندلعت فى هذا المطعم ..
وقد اكتشفوا أن السبب هو ثقب فى خرطوم غاز فى
المطبخ .. والأجمل هنا أن الإخبارية جاءتهم فى
التاسعة والربع مساء .. أى قبل نشوب الحريق
بساعة إلا الربع ، وهو ما يوحى بأن هناك فاعلاً ..
فاعلاً ارتكب الجريمة وأبلغ رجال الإطفاء قبلها على
سبيل التسلية .. أو أن له شريكاً غدر به ..

كان هناك واحد فى المطعم يتوقع أن يحدث شىء ..
لكنه لم يعرف ما هو ..

وكان هذا الواحد هو أنا ..

صباح يوم الحريق اتصلت بى د. (كاميليا) وقالت إنها مازالت مرهقة من التوتر العصبى Stress كما قالت (لأنها تحب استعمال الإنجليزية للتعبير عن كلمات لها مليون مرادف فى العربية) .. وقالت إنها ستحسن الظن بى بعد هذا لأنه من الواضح أن لدى حاسة سادسة مرهفة ..

- « حسبك مجنوناً وأنت تهرع نحو الباب كالمسوع .. »

- « كثيرون يعتقدون الشئ ذاته ، ولم أعد أحاول تبرير نفسى .. »

وحين وضعت السماعة فرغت إلى نفسى أخيراً ..
فرغت لخواطرى الخاصة ..

لقد اتصل بى الفاعل قبل الحادث .. اتصل لينذرنى ..
ولكن لماذا ؟

لا يوجد دليل على كلامى لكنى أرجح أن الرجل الذى

كان جالسًا فى المطعم .. الرجل الذى غادر المكان قبل
الحادث بدقائق .. هذا الرجل هو ذاته من اتصل بى ..
كان فى مظهره شىء ما .. شىء يقول : أنا ذاهب ..
القرار الآن قرارك أنت ..
ولكن لماذا ؟

★ ★ ★

لهذا سررت للغاية حين دق جرس الهاتف وهرعت
أرد عليه ..

كان ذات الصوت الواثق الهادئ :

- «أنا (فوزى شفيق) .. سرنى أنك صدقتى أخيراً ..»

- « وسرنى أنك أبلغت (المطافئ) .. »

ثم ابتلعت ريقى وسألته :

- « لماذا أشطت هذا الحريق ؟ أنا أعرف أن هناك

مجانين إشعل حرائق .. هذا الجنون يسمى (بايروماتيا) ،

لكننا لا نقابله فى مصر .. هنا يشعلون الحرائق لأسباب

عملية أكثر مثل إخفاء الاختلاسات قبل موسم جرد
العهدة .. لكن هل هناك عهدة فى المطعم إياه ؟
ضحك كثيرًا .. ثم ساد الصمت ..
بعد قليل قال لى :

- « انقذ ما تبقى من الدجاجة ثم عد لى .. »

- « دجاجة ؟ هل تمزح ؟ إن .. »

ثم صحت وأنا ألقى بالسמاعة كالمسوع :

- « تَبًا ! الدجاجة !! »

وهرعت إلى المطبخ لأجد المأساة الكاملة ..
الدجاجة التى أعدتها للغداء ، والتى كانت فى آخر
مراحل النضج قد تحولت إلى قطعة فحم صالحة
لإنضاج دجاجة أخرى عليها .. وكان الدخان يتصاعد
بكثافة بينما صار من العسير أن تعرف لون الجدار
الذى فوق الموقد .. هل كان أسود من البداية ؟

حملت الوعاء إلى الحوض وفتحت الصنبور ..
وطش ش ش ش ش ! تصاعد البخار الساخن الحارق
ليملأ المكان معلنا نهاية آمالى فى غداء اليوم ..

طبعًا لم أنس أن أنظر جيدًا عبر نافذة المطبخ
لأتأكد من أن أحدًا لا يراقبني .. الأمر الذى كان
سهلاً لأن المطبخ بلا نافذة أصلاً ..

جففت يدي وعدت إلى الصالة وحملت سماعة
الهاتف ..

جاءنى صوته الهادئ :

- « هل بقى منها شىء ؟ »

قلت فى غيظ :

- « أنت عليم بهذه الأشياء ربما أكثر منى ..

ولكن كف عن المزاح وقل لى : كيف عرفت هذا ؟ »

- « كنت أعرف أنك ستحرق دجاجتك .. »

- « ولماذا لم تتصل قبل هذا بعشر دقائق ؟ »

قال فى صوت لا مزاح فيه :

- « لأنه لا وقت لدى أضيعه فى إنذار الناس قبل

احتراق دجاجهم .. »

بعد دقيقتين من صمت ثقيل قال :

- « الآن أنت تعرف أننى لم أشعل الحريق فى
المطعم .. »

- « تريد القول إنك تتنبأ .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. هل لديك تفسير آخر ؟ »

قلت فى عصبية :

- « أنا لا أصدق حرفاً من هذا الهراء .. »

ووضعت السماعة قبل أن يتكلم ..

بالنسبة لمن يزعمون التنبؤ أنا متأكد مما أقول ..
الرجل الذى يجيد التنبؤ بالغد لن يظل هنا ليبهز
الآخرين بكلامه .. إنه سيكون جالساً هناك على عرش
العالم ..

هذا الرجل الذى يعرف كل شىء .. الذى يعرف أسئلة
امتحان الثانوية العامة ومتى تصحو الزلازل ومتى تشتعل
الحروب .. الذى يعرف الخطط السرية للجيش وموعد

وفاة أعدائه وموعد ارتفاع الأسهم فى البورصة ..
الذى يعرف أين تستقر الكرة فى لعبة (الروليت)
فى ملاهى (لاس فيجاس) ، وأية شهادات استثمار
ستربح .. الذى يعرف أن سعر القطن سيرتفع بعد
أسبوع من ثم يشتري كل الموجود فى السوق .. هذا
الرجل - ببساطة - لن يضيع وقته فى إنذار الناس
بأن دجاجهم يحترق ..

هناك قصة ممتعة لـ (مارك توين) تتلخص فى
شاب أمريكى من هذا النوع ، أقنع أحد الأثرياء بشراء
الموجود فى السوق من سلعة معينة ، لأن الحرب
ستقوم فى أوروبا ، وسوف يكون لهذه السلعة سعر
الذهب .. وبالفعل حدث ما توقعه الفتى .. وصار
مليونيراً .. الحقيقة أنه لم يكن يتنبأ ، ولكنه وجد
جريدة بريطانية فى بطن سمكة قرش اصطادها على
شاطئ الأطلنطى .. والجريدة كانت تحكى عن قيام
الحرب فى أوروبا ..

طبعاً قبل اختراع البرق والهاتف والمذياع ، كانت

أمريكا ستعرف بالخبر بعد شهر على الأقل حين
تصل السفن البريطانية إلى سواحلها ، أما الفتى
فعرف القصة بعد أسبوع واحد !

الرجل الذى يتنبأ بالغيب ستكون حياته كلها تكراراً
لهذه التجربة ..

إذن كيف عرف الأخ (فوزى) ما عرف ؟

هناك تفسير ما .. لكنه بالتأكيد ليس التنبؤ ..

لقد عرفت موقفاً مشابهاً مع د . (لوسيفر) حين
كان يقرأ أوراق التاروت ، وحسبت أنه يتنبأ ..
الحقيقة إنه كان يقرأ أفكارى ويبنى عليها مستقبلاً لم
يحدث .. لم لا ؟ إن قراءة الأفكار شىء وارد وثمة
أدلة علمية لا تنفيه إن لم تؤكد .. لكن لا تكلمنى
عن التنبؤ من فضلك ثم ..

جرس الهاتف من جديد ..

رفعت السماعة لأجد نفس الصوت يقول لى :

- « نسيت أن أقول لك .. »

صحت وقد صعد الدم إلى رأسى :

- « اسمع .. لو كنت تبغى التسلية فإن السيرك القومى »

قاطعنى بذات الثبات :

- « لا مزاح هنالك وأنت حر فى قرارك .. لكن هناك مريضاً يدعى (عبد البارى المنوفى) فى المستشفى وهو يتلقى العلاج الخطأ فى هذه اللحظة بالذات .. لو شئت أن تجده ميتاً غداً فهذا شأنك .. »

صحت فى مزيد من العصبية :

- « أنا لا أعرف أحداً بهذا الاسم .. »

- « ستعرفه لو ذهبت الآن إلى هناك .. »

ووضع السماعة ليثير غيظى .. كنت أنا المولع بهذه الأمور فيما سبق ..

وهنا بدأت مغامرتى التى تفوق مغامرات (طرزان) فى الأحرار ، وبطولات الكابتن (كوك) فى مجاهل المحيط : الاتصال بالمستشفى ..

طبعًا كان هذا مستحيلًا .. أضف لهذا أن الاتصال
الهاتفى كان معجزة من المعجزات فى ذلك الزمن من
منتصف السبعينات .. الآن لم يعد أمامى إلا حل من
اثنين : إما أن أتجاهل الأمر وأعتبر هذا المدعى كاذبًا ..
وإما أن أذهب إلى المستشفى حالاً ..

لوتجاهلت الأمر ولم يكن كاذبًا ، حملت دم هذا المريض
- نسيت اسمه - على رأسى للأبد .. ولو ذهبت واتضح
أن البلاغ كاذب فلسوف أشعر بالحماسة للأبد ، توطئة
لأن تنمو لى أذنان طويلتان ..

طبعًا كان الاختيار سهلاً .. إن حمارًا مستريح
الضمير لأفضل من قاتل بالإهمال ..

وارتديت ثيابى على عجل ، واستقللت سيارتى
قاصدًا المستشفى .. وهى مهمة ليست سهلة فى
شوارع القاهرة .. لاحظ أنها الواحدة ظهرًا وقد بدأت
الذروة .. الذروة التى ستستمر حتى الرابعة بعد
الظهر فى أفضل الأحوال ..

أخيراً وصلت السمشفى مغبراً ممزق الثياب ملوثاً
بالعرق ..

هناك كان الطبيب المقيم جالساً يتكلم مع صديق له ،
وقد أدهشه قدومى لأن اليوم إجازتى .. قلت له
محاولاً التذكر :

- « هل من مريض يدعى .. يدعى ؟ إنه ذلك الذى
يتلقى علاجاً خاطئاً الآن .. أنت تفهم هذه الأمور .. »

تبادل النظرات مع زميله .. أعرف هذا النوع من
النظرات على كل حال ..

لم يكن هناك من حل سوى أن أقتاده من معصمه
إلى الخاير ، ومررنا على أسرة المرضى واحداً تلو
الآخر .. سيكون الأمر معقداً لأننى سأضطر إلى
مراجعة تعليمات العلاج كلها ..

لكن الفرج جاء بشكل غير متوقع ..

كان المريض الراقد فى الفراش الثالث نائماً حقاً ..
وقد علقوا جوار فراشه كيساً من الصفائح الدموية
فهو يعانى من النزف إذن ..

لكن كانت هناك مشكلة .. إن الخرطوم الذى يتدلى
من الجهاز حاملاً الصفائح إلى أوردة المريض ..
هذا الخرطوم لم يكن مثبتاً إلى الوريد .. كان يتدلى
على الأرض بجوار الفراش ومحتواه من السائل
الثمين يسيل فى بركة صغيرة ما انفكت تتسع ..

المشكلة الأفدح هى أن الإبرة كانت مثبتة فى وريد
المريض وكانت تنزف دمه بانتظام .. الدم الأحمر يختلط
بالصفائح الدموية على أرض الغبر ، بينما كان على
السائلين أن يختلطاً فى جسد المريض لا خارجه ..

- « ما اسم هذا المريض ؟ »

- « اسمه .. اسمه .. » - ومد يده ينظر إلى غلاف

التذكرة - « اسمه (عبد البارى المنوفى) .. »

ولم أكن بحاجة إلى السؤال لأنى كنت أعرف أنه
هو .. بالتأكيد هو بصرف النظر عن الاسم ..

مددت يدي وقمت بثبيت طرف الخرطوم إلى الإبرة
لأمنع المزيد من هذه الكارثة ..

ثم نظرت نظرة صامتة إلى الطبيب الشاب الذى
استحال لونه كلون الليمون .. صاح فى هستيريا
ينادى الممرضات ويطلب قياس ضغط دم هذا
المريض ..

كان الإهمال واضحاً جلياً .. الممرضة التى ثبتت
الإبرة فى ذراع المريض لم تعن بتثبيت طرف
الخرطوم فيها ، وهكذا كان المريض ينزف دمًا
وكيس الصفائح ينزف مالا ..

لو تأخرنا نصف ساعة لفوجئنا بجثة خالية من
الدماء ، يعجز عن صنعها كل مصاصى دماء روماتيا ..
وبعد دقائق بدأ المريض يتحسن .. وأدركت أنه نجا ..

لكن ماذا لو لم ينج ؟

لابد من عقاب صارم للجميع ..

★ ★ ★

وحين دق جرس الهاتف وسمعت صوته ، كنت
أقل عدوانية :

- « أشكرك على النصيحة .. لومات هذا المريض
لقتلنى الهم .. طبعاً أنت عبقرى وتعرف أننى أنقذت
حياته .. »

قال فى برود :

- « هدفنا أن نسعدكم .. »

هنا قررت أن ينتهى أوان اللهو وأن نضع كل
شء على بلاطة كما يقولون ..

قلت له فى حدة ولهجة قاطعة :

- « أنت مفيد .. لكن الوضع لن يظل كذا للأبد ..
إن لدى بعض أسئلة .. أولاً من أنت .. ثانياً كيف
عرفت ما تعرفه .. ثالثاً لماذا أنا بالذات ؟ »

ضحك ضحكته الخفيفة التى لامت للضحك لكنها
ابنة عم بعيدة له ..

- « تريد أن تعرف هذا كله فى الهاتف ؟ »

- « أريد أن أعرفه ولا يهم أين .. »

قال فى ثبات :

- « حسن .. لابد من لقاء .. وفى اللقاء تفهم
أغلب الأمور وليس جميعها .. ولكن ليكن اللقاء فى
مكان أحده أنا .. »

- « اختر أنت المكان .. »

وتذكرت باسمًا قصيدة (نزار قبائى) : انتقى أنت
المكان .. انتقى أى مكان ..
قاطع الرجل القصيدة قائلاً :

- « المقطم منتصف الليل .. عند »

قلت فى غيظ :

- « لماذا لاتختار الصحراء الغربية أو الربع الخالى
أو (الاسكا) ؟ إن المقطم يبدو مكاناً سهلاً أكثر من
اللازم .. »

- « إذن هو المقطم مادام يناسبك إلى هذا الحد !! »

كدت أصاب بالفالج من الغيظ .. إما أنه يتلاعب بى
أو هو مطلق الغباء .. قلت :

- « ولكن أين بالضبط ؟ »

- « لا تقلق .. فقط اذهب هناك وأنا سأجرك .. »

ثم ضحك من جديد ضحكته الخالية من المذاق
وقال :

- « لا تنس أن هذا عملى ! »

★ ★ ★

٥- فوزى شفيق (٢) ..

منتصف الليل إلا قليلاً .. أكره أن أخلف مواعيدى
كما تعلمون ..

المقطم يقف شامخاً رهيباً كوحش غاف فى الظلام ..
الأضواء تلتهم من بعيد وأضواء سياراتى ترتسم
على معالم الطريق كأنها تقول لى فى كياسة :
أنت أحمق ..

هذا يبدو ككمين .. أعرف هذا .. لكن لأى غرض ؟
الكمائى تنصب للأثرياء أو الثوار أو الحسنات أو الطغاة
أو الفارين من ثأر .. وأنا لا أنتمى لأى واحد من هذه
القائمة ، ولست مهماً إلى حد أن يكون لى أعداء .. إن
خصومى - من بقى حياً منهم - هم الزومبى والمسوخ
والمدعوبون ومصاصو الدماء ، وهؤلاء السادة جميعاً
يتمتعون بالخيال الخصب وحرية الانتقال .. ليس أحدهم
من السماجة بحيث يدفعنى إلى لقاء فى هذا المكان ..

هذه سماجة بشر .. فقط البشرى يمكن أن تبلغ به
القسوة هذا الحد مع كهل مثلى ..

ولكن كيف سيجدنى هذا العبرى ؟

أخيراً وجدت مكانا يسمح لى بالتوقف .. جذبت فرملة
اليد وغادرت السيارة وإن أبقيت كشافاتها مضاعة ..
حقاً كان المكان بهيجاً .. الظلام .. الصخور .. الخواء ..
ثم زاد الأمور بهجة أن الضباب بدأ يرتفع فى هذه
الساعة المبكرة .. الغد سيكون حاراً كما يقول من
يفهمون هذه الأمور ..

كشاف السيارة يضيء الضباب ، فترى الجزينات
المتراقصة السابحة بتلك الحركة (البراونية) التى لا أذكر
كنها بالضبط .. تسمع صوت كائن ما يتردد فيجيبه
صوت كائن آخر .. لا .. ليس صرصوراً ولا ذئباً
ولا بومة .. إنه ذلك الكائن الذى لم يوجد بعد ، والذى
ينتظر أول مريض عقلى يقف هنا وحيداً ليلاً ..

نظرت فى ساعتى ..

سأنتظر كالأحمق عشر دقائق ثم أغادر المكان
لا ألوى على شىء ..

عشر دقائق من الحماقة تبدو مناسبة جدًا ..

ومن مكان ما كنت أسمع أغنية إنجليزية لا أدرى
هل لها وجود حقًا ، أم هى تتردد فقط فى ردهات
عقلى الباطن ؟

وداعًا أيها الغريب ..

كانت إقامتك قصيرة ، لكنها كانت رائعة ..

عسى أن تجد جنتك التى فتشت عنها كثيرًا ..

وداعًا أيها الغريب ..

كانت زيارتك رقصة من رقصات الظل ..

قطرة من قطرات الندى قبل شروق الشمس ..

لحنًا سمعناه لثوان هنالك من الدغل ..

ثم هزنا الرعوس وقلنا إننا توهمناه ..

وداعًا أيها الغريب ..

لكن كل شيء ينتهى ..

ومن مكان ما جاء ..

شعرت به قبل أن أراه ..

ونظرت إلى الوراء وأجفلت ..

كان قادمًا من الجهة العكسية حيث لا تسقط عليه
كشافات السيارة ، لكن بعض الضوء جعل حدود جسده
تتضح .. لا داعى للتخفى أكثر يا بنى .. أنت الفتى
الذى كان جالسًا فى المطعم ليلة الحريق .. لن أنسى
هذين الكتفين والشعر الثائر على جانبي الرأس ..
يثنى رسغه بالقداحة بطريقة (جيمس بوند) ويشعل
لفافة تبغ ..



ونظرت إلى الوراء وأجفلت . كان قادمًا من الجهة العكسية
حيث لا تسقط عليه كشافات السيارة ..

هذا الفتى غامض مخيف أو يصطنع الغموض ..

قلت له مازحاً :

- « هل أحضرت النيجاتيف ؟ »

ولفظت كلمة (نيجاتيف) بالطريقة الفرنسية كما
يلفظها (إستيفان روستى) فى الأفلام .. فالموقف كله
يوحى بعملية إجرامية . أو كأن صفقة مريبة ستجرى
الآن : النقود مقابل النيجاتيف ..

لكن الخبى لم يفهم الدعابة ، وسألنى بذلك الصوت
الهادئ الذى لن أنساه ما حييت :

- « أى نيجاتيف ؟ عم تتحدث ؟ »

- « دعك من هذا ولندخل فى الموضوع .. أولاً لماذا
لا تكف عن هذه الطريقة البوليسية المراهقة وتظهر
فى النور ؟ »

كليك .. أشعل اللفافة بحنكة وتصاعد الدخان الأبيض :

- « لا أستطيع .. ولا تسأل عن السبب .. »

عدت أسأله سؤالاً ثانياً من الأسئلة غير المتوقعة :

- « هل أنت د. (لوسيفر) ؟ »

كان هذا السؤال قد جال بذهنى عدة مرات .. أسلوب الرجل المسرحى فى العمل يذكرنى بد. (لوسيفر) .. وكأن هذا مقلب ما يدبره لى ..

لكنى كنت أعرف أفضل .. أعرف أن هذا ليس د. (لوسيفر) .. لقد اكتسبت خبرة لا بأس بها بهذا الأخير .. صرت أتوقع ظهوره وأستبقه بشكل أو بآخر .. حتى حين يبدل مظهره لم يعد يخدعنى كثيراً .. أعنى أن (لوسيفر) يملك هالة معينة أشعر بها بسهولة ..

قال الفتى غريب الأطوار :

- « لست هو .. ثقب بهذا .. »

- « أنت إذن تعرف عمن أتكلم ؟ »

- « أعرف كل شىء عنك .. »

قالها فى ملل كأنما هذا كله مفروغ منه ..

سألته السؤال الأول الذى لا أتوقع له إجابة واضحة :

- « من أنت ؟ »

- « أنا (فوزى شفيق) .. »

- « أنت تعرف أننى لا أتقيد بحدود اللغة فى سؤالى ..

من أنت تعنى (ما أنت ؟) .. »

وتذكرت ما يقوله اللغويون .. عندما تقول لصديقك :

هل من الممكن أن تغلق الباب ؟ السؤال هنا معناه

الأمر ولا يطلب المعلومة .. ومن السماجة أن يرد

صديقك : نعم يمكننى غلق الباب ..

قال فى تودة :

- « لنقل إننى صديق .. يهमे أمرك .. هل هذا

كاف ؟ »

- « وهذه القدرة التنبؤية الخارقة التى تتمتع

بها ؟ »

أطلق سحابة كثيفة وقال :

- « موهبة إلهية كرهت أن أستاذربها .. إتنى ألعب مع الناس نور الأب الذى يهديهم للعلم .. والعلم هو أئمن سلاح يمكن أن تقدمه لخراف تمشى نحو الهاوية .. بعد هذا فليتصرف كل واحد كما يحلو له .. »

- « هذا يقوننا إلى السؤال الأخير : لماذا أنا بالذات ؟ »

أضواء سيارة ترقرت من بعيد ، ودوى صوت محرك ، وسمعنا صوت شباب يتضاحكون من داخل سيارة ! قال وهو ينظر باتجاه الصوت :

- « حادث مؤسف آخر بسبب السرعة ! إن هؤلاء الشباب لا يتعظون ! »

- « هل تعنى أن هذا سيحدث لهم الليلة ؟ »

- « بالتأكيد .. »

ونظر فى ساعته وغمغم :

- « بعد عشر دقائق من الآن وهم عائدون من المقطم .. سيموت أربعة ويقضى الخامس حياته على مقعد متحرك ! »

- « ولماذا لا تنذرهم ؟ »

ضحك ضحكته الخالية من معنى الضحك ، وقال :

- « وكيف ألحق بهم ؟ ثم إنهم - بشكل ما - يستحقون ما سيحدث لهم .. »

عدت أكرر سؤالى الأخير :

- « لماذا أنا بالذات ؟ »

- « ومن قال لك إنه أنت بالذات ؟ »

ثم أطلق المزيد من الدخان وقال بصوت أجش :

- « هل تعرف (محمود زاهر) ؟ »

هنا فهمت .. هذا هو التفسير الثانى بعد استبعاد
تسرب أسئلة الامتحان ..

- « أنت أعطيته أسئلة الامتحانات كلها ؟ »

- « كلها .. وقبل أن يخط أستاذ أى مادة حرفاً من
أسئلتها .. وقد قضى الفتى ساعات طويلة يتدرب على

الإجابة عشر مرات ، وبحث عن الإجابات المثلى
فى أكثر من مكتبة .. »

ثم قال فى سخرية :

- « طبعاً لن تستطيع أن تدينه أو تثبت شيئاً ..
أتمنى أن أرى وجهك وأنت تطالب بمجلس تأديب
لطالب عرف أسئلة الامتحان مستعيناً بعراف ! »

- « هذا يقودنا لسؤال آخر .. لماذا هذا الفتى
المحفوظ دون سواه ؟ وكيف تعرفك ؟ »

- « أنت تسأل أسئلة كثيرة .. »

وطوح ببقايا لفافة التبغ من فوق المنحدر ،
وأردف :

- لن تحصل على إجابات واضحة .. فلا تضيع
وقتك .. أنت تذكر نصيحة (محمود زاهر) لك بأن
تأخذ الحذر مساء يوم ١٧ يونيو .. الجمعة .. هذه
نصيحة مخلصـة صادقة وأنا مصدرها .. لقد أرغمت
الفتى على أن يندرك .. والحقيقة أننى أرثى لك ..

إن ما أنذرك منه لهو أسوأ نبوءة رأيتها فى حياتى ،
وقد أصابنى هلع حقيقى حين رأيتها .. وما كان
بوسعى ألا أخبرك بها .. »

برغم أننى لا أصدق حرفاً ، فإن الدم تجمد فى
عروقى .. الرجل يتكلم بثقة بالغة إلى حد أن كلامه
صار ذا رأس وعنق وذيل .. صار ثلاثى الأبعاد ..

سألته بصوت حاولت أن يكون ثابتاً :

- « هل لى أن أعرف ما سيحدث ؟ حريق آخر ؟
نوبة قلبية ؟ »

- « إذن لما كنت تجشمت عناء إنذارك .. الحقيقة
إن بوسعى أن أنذر وألمح لكنى لا أستطيع أن أعطى
تفاصيل .. »

- يا سلام ! ولماذا صارحتنى باحتراق الدجاجة ؟
هل أنت مختص بالدجاج فقط ؟ »

- « صارحتك بعد احتراقها ! وعلى كل حال لست
فى حل من أن أعطيك تفاصيل .. ليس فى أمور
مهمة كالموت والحياة .. فقط خذ الحذر .. »

نظرت لساعتي ذات التقويم ، فوجدت أننا فى
نهاية شهر مايو .. هناك أكثر قليلاً من أسبوعين
قبل أن تقع الواقعة ..

قلت له وأنا أستند إلى باب سيارتى المفتوح :

- « حسن .. هل تعرف ما أفكر فيه ؟ »

- « طبعاً .. تفكر فى أننى نصاب ! »

ابتسمت وقد تذكرت قصة الرجل - أعتقد أنه
(أشعب الطفيلى) - الذى ادعى النبوة ، وأعلن للناس
أنه قادر على مصارحتهم بما يفكرون فيه .. طلبوا منه
أن يخبرهم ، فقال : تفكرون فى أننى كاذب !

أردفت وأنا لا أغالب الابتسام :

- « يبدو أنك تعلم الغيب فعلاً ! لكن لعبتك لعبة
لاتخيب .. لو حدث شىء يوم السابع عشر من يونيو
لكان السبب إنك عبقرى .. إن حياتى خطرة صاخبة
ومن العسير ألا يحدث لى شىء .. أما لو لم يحدث شىء
فالسبب هو أننى أخذت الحدز .. لو حدث شىء فأنت
أنذرت .. ولو لم يحدث شىء فأنا احتطت .. »

قال وهو يدس يديه فى جيبي سرواله :

- « ليكن .. كنت أعرف أنك ستقولها .. »

جلست خلف المقود وقلت له فى تهذيب :

- « هل أوصلك إلى مكان ما ؟ »

قال بنفس التهذيب :

- « لا .. شكراً .. سيارتى قريبة .. وإلا كيف تحسبني

جئت ؟ »

غريب ! هذا محبط .. كنت أحسب أولئك العرافين
البارعين ينتقلون عبر الأزمان والأبعاد .. ولا ينتظرون
الحافلات مثلنا ..

وأدرك المحرك وبدأت رحلتى فى الظلام شارد
الذهن ..

السابع عشر من يونيو .. ماذا فى السابع عشر
من يونيو ؟ هل فى جدول أعمالى شيء ما فى هذا
اليوم ؟ ولكن ..

كفى هراء يا (رفعت) أنت تسير فى الطريق إلى
أن تصدق هذا المدعى ..

تصدقه مخالفًا كل قناعاتك السابقة .. الدينية
والعلمية وحتى المنطقية البسيطة ..

ولكن

ما سبب هذا الزحام وهذه الأضواء على جانب
الطريق ؟ ضوء أحمر دوار من الطراز الذى يحيل
الليل جحيمًا .. (فى لهيب الليل) .. عنوان فيلم
أمريكى شهير أتذكره على الفور كلما رأيت مشهدًا
كهذا .

ثمّة سيارة إسعاف لا تكف عن الولوجة .. وسيارة
أخرى مقلوبة ويبدو لى أن هناك عددًا لا بأس به من
الضحايا .. و

لا .. لن أتوقف لأعرف ما إذا كان أربعة قد ماتوا
والخامس سيقضى حياته على مقعد متحرك ..

لو توقفت لكان معنى هذا أنى أصدق ..

وأنا لا أريد أن أصدق ..

رباه .. أنا لا أريد أن أصدق ..

★ ★ ★

٦ - محمد مرزوق ..

جالسًا فى ذلك المقهى الذى اعتدت أن أرتاده فى الآونة الأخيرة ، كان صديقى (محمد مرزوق) المحامى - كما يحب أن يطلق على نفسه - جالسًا يدخن النرجيلة ويثرثر ..

كان رجلًا فى الخمسين من عمره لم يتزوج بعد مثلى ، لم أكن أعتبره صديقًا .. أنتم تعرفون أننى كثير المعارف قليل الأصدقاء ، لكنه كان مصرًا على أنه صديق وصديق عزيز .. حتى إننى بدأت أقتنع بهذا الذى يقول ..

كان من الطراز الذى يحلق شاربه من أعلى ، تاركًا خطأ أسود رفيعًا فوق الشفة العليا يعتقد هو أنه يكسبه جمال منظر لاشك فيه .. وأنا أعرف هؤلاء الذين يحلقون شواربهم من أعلى .. إنهم يملكون ذات الأفكار ويقولون ذات الكلام ..

والحقيقة أنه كان كثير الكلام بحيث إننى أشك إن كان يعرف اسمى أو عملى .. فهو لا يسمح لى بأن أفتح فمى لأقول شيئاً واحداً ، وآراؤه فى الحياة جاهزة فى كل ثانية بلا أدنى ترتيب مسبق .. كما أن صوته العالى هو دعوة لكل إنسان كى يشارك فى الحديث معنا .. الحقيقة هى أن (محمد مرزوق) رجل سعيد .. لقد حلّ كل ألغاز الكون ومشاكله ببساطة وهو جالس فى المقهى يدخل .. ولا توجد لديه ألغاز ميتافيزيقية أو مشاكل أو دواعى للاكتئاب ..

وكنتم أتحمله لأننى أحب هذا المقهى .. ثم إننى بين نارين : نار الوحدة ونار ثرثرته .. أحياناً أفضل إحدى النارين على الأخرى ..

فى هذا اليوم كان صوت مذياع المقهى عالياً كصرخ الشيطان فى الجحيم ، وكان صديقى هذا يتبارى معى فى الصوت العالى ، حتى إننى شعرت بأننى سأفقد الوعى أو أن رأسى سينفجر حالاً ليغرق الموائد حولنا بشظايا العظام وفتات المخ ..

- « ولكن دعنى أؤكد لك يا دكتور أن هذا الجيل الجديد قليل الأدب .. جيل الشباب قليل الأدب يفتقر إلى المثل الأعلى .. نعم .. هذا جيل قليل الأدب ، وأعتقد أن بعض الصفحات يمكن أن تصلح الأمور .. فى طفولتنا كنا على خلق وكنا نحترم الكبير .. وكنا متفوقين فى الدراسة ومطيعين فى البيت .. نعم .. كنا مطيعين فى البيت .. لكن هذا الجيل الذى يطيل شعره كالفتيات .. ثم خذ عندك هذا الرقيع (توم جونز) .. إنهم .. »

كنت أوافقك وأنا لا أعى إلا عشر ما يقول .. وعيناي تجولان فى المقهى ..
ثم تصلبتا ..

هناك جوار صاحب المقهى الجالس يدخل النرجيلة ويعد القيشات ، وجدت ذلك الرجل .. ذات الرجل .. ملامحه الآن واضحة جليلة وأعرف بالتأكيد أنه هو ..

رأى فرقع يده .. حركته أنيقة دون أن يتخلى عن مبسم النرجيلة فى فمه .. طبعا هذا مقهى ، لهذا تجد كل الجالسين تحولوا إلى مصاصات دخان حية ..

رفعت يدي بحركة عصبية محيياً ، ثم تقلصت
معدتي ..

أكره هذا الشعور بالمراقبة . أكره الوجوه التي
تقابلها في كل مكان ..

وكان (محمد مرزوق) المحامي ما زال يتكلم عن
قلة أدب الشباب ووقاحتهم ..

بعد دقائق نظر إلى ساعته وأعلن أنه تأخر ، وأنه
سينام مبكراً لأن عنده جلسة صباح غد .. وكانت
هذه أجمل لحظة في لقائنا لأنه يتركني وحيداً ، بعدها
أشرب قنحاً أخيراً من القهوة وأعود لداري .. بشكل ما
أعتبر هذه (قهوة الصباح) لأن منتصف الليل هو
بداية يومي ..

خلا المقعد لدقائق .. وكنت أعرف ما سيحدث ..

هذه المرة نهض الأخ (فوزي شفيق) الذي صار
في موضع بارز من عالمي في الفترة الأخيرة ..
نهض واتجه إلى المقعد الخالي وجلس عليه ..

لم تكن ملامحه غريبة أو توحى بشيء ما .. كان
من طراز الأشخاص الذين يصعب تذكر وجوههم لأنه
ما من علامة مميزة هناك .. لاشارب ، لانظارة ..
الأنف ليس ضخماً .. العينان بلا لون خاص ..

قلت له دون مقدمات :

- « لا أراك حريصاً هذه المرة على الظهور فى
الظلام .. »

ابتسم وقال :

- « أعتقد أن عليك أن تعرفنى أكثر .. »

ثم أضاف بلهجة ذات معنى :

- « هل هو صديق عزيز ؟ »

فهمت أنه يتكلم عن (محمد مرزوق) ، فقلت بلامبالاة :

- « زميل .. »

ابتسم من جديد وبلهجة ذات معنى قال :

- « أرجو أن تكون ودعته جيداً ! »

★ ★ ★

سقط محتوى القدح على سروالى ، وبصعوبة
تمالكت نفسى .. صحت فى غضب :

- « تباً ! ألن تكف عن هذا الهراء ؟ لا أعرف مخبولاً
إلا وشفى أو مات .. وأنت ما زلت مصرّاً .. »

قال فى شىء من دهشة كأنه أهين :

- « حقاً لا أفهم سبب كل هذه الفظاظه .. لم أقل
شيئاً إلا أن هذا الرجل سيموت .. »

- « لم تضيف جديداً .. كلنا جثث تمشى على قدمين ..
هل قرأت المحاكمة لـ (كافكا) ؟ »

قال فى ضيق :

- « أنت تعرف أننى أتحدث على المدى القريب
لا البعيد .. بالتحديد هذا الرجل سيموت بعد ثلاث
ساعات .. »

- « أنت عبقرى .. وكيف سيموت ؟ »

- « لا أستطيع البوح بالتفاصيل .. »

- « ربما كنت على حق لو أنك تزمع قتله .. »
- « أنت حر .. لقد أخبرتك بما أعرفه وانتهى
الأمر .. »

ونهض فى كبرياء عائداً إلى موقعه السابق وعاد
يمتص الدخان من مبسم النرجيلة دون أن ينظر لى ..
من الواضح طبعاً أن مزاجى قد تعكر تماماً بحيث
صار من العسير أن أكمل قهوتى ، دعك من أن أكثرها
انسكب على السروال بالفعل .. لهذا نهضت وغادرت
المكان ..

الليل الرطب المنعش حولى والظلام أمامى .. ومن
ورائى صوت الضحكات والبصقات وقرع فيشات
الطاولة .. أبتعد عن دائرة الصوت والضوء لأدخل
دائرة الصمت والظلام ..

ماذا أفعل ؟

من الواضح أن على - لو كنت أحترم نفسى -
أن أذهب لبيتى وأنام قرير العين ..

لكن من الواضح أنني لن أفعل .. لا يعنى هذا أنني
لا أحترم نفسي ، لكنى موسوس بشكل لا يمكن وصفه ..
حقاً إن للخزعبلات هبة برغم كل شيء .. ذات مرة
كنت فى غرفة ومعى صندوق فيه رأس (ميدوسا) ..
وكنت أعرف أنه لا يوجد شيء اسمه (ميدوسا)
لكنى لم أجسر على أن أنظر داخل الصندوق ..

هكذا رحت أجوب الطرقات أتأمل المحلات
المضاعة ، عاجزاً عن اتخاذ القرار الصائب ..

وفى النهاية حدث ما لابد أن يحدث ..

★ ★ ★

بعينين أذاهما النور ، فتح الباب وتأملنى غير مصدق :

- « غريب هذا .. خير ؟ »

كان (محمد مرزوق) يرتدى - كما توقعت - منامة
مخططة بخطوط خضراء طولية ، وعلى رأسه
قلنسوة صوفية برغم أننا فى الصيف تقريباً . وكان
يمضغ شيئاً ما ..

قلت له فى حرج :

- « لا شىء .. كنت قلقاً .. شعرت بأنك مريض
حين كنا فى المقهى .. »

أشار لى كى أدخل .. كانت الصالة مضاعة
تتوسطها مائدة عليها رغيف خبز وطبق فول تم
انتهاكه وبعض البصل .. وقال وهو يكور لقمة
أخرى ليلقيها فى فمه :

- « هل تتناول العشاء معى ؟ لا ؟ ليكن ..
من قال إننى مريض ؟ لم أشعر قط بأننى أفضل
حالاً .. »

طبعاً لم يكن لدى أى مبرر لبقاء أكثر .. هو قال
إنه مشغول غداً ، والكلام عن نبوءة ليس من الأمور
التي يستيقظ لها الناس ليلاً ..

فى اللحظة التالية وجدت زجاجة (أسترا) الساخنة
فى يدي .. كان هذا من المشروبات الغازية المحببة

وقتها ، ولسبب ما لم يكن يقدم إلا ساخناً .. جرعتها
وأنا واقف أحاول أن أتملص .. ثم تجشأت وحييته
وأعلنت أنني راحل .. لم يبد على استعداد لأية درجة
من النفاق ..

قلت له وأنا أقف على أعلى الدرج :

- « على الأقل لا تنس واجب الحذر .. أنت تعرف
رقم هاتفى .. لو شعرت ببدايات النوبة القلبية أو
سكرة الموت ، فلا تتردد فى أن تطلبنى .. »
- « فاللّٰه ولا فالك .. »

لا أدرى ما الذى ضايقه فى كلامى برغم أنه ملفوف
بالرقة والاهتمام ..

★ ★ ★

- « ثلاث ساعات .. ثلاث ساعات .. »

هو قال ثلاث ساعات ..

كنت جالساً فى فراشى أقرأ بعض الأوراق الطبية ..

جوارى جهاز التسجيل الجديد الذى ابتعته والذى
ينبعث منه صوت (عبد الوهاب) .. وعلى الكومود
قدح من القهوة لتساعدنى على النوم .. والقلم فى
يدى ، وعشرات الخواطر السوداء هناك ..

الثانية بعد منتصف الليل .. هذا يعنى أن أمامى
نصف الساعة .. أو أمام صاحبى بعبارة أدق ..

ماذا دهانى ؟ أبعد كل هذا العمر والخبرات أصدق
حرفاً من هذا الهراء ؟ لقد صدقت الكثير من قبل ، لكنى
ظللت متصلباً أمام أمور لا يقبلها الدين أو المنطق
أو العلم .. لا تحدثنى من فضلك عن آلهة وثنيين
ولا عن مغناطيس يجذب النحاس ، ولا عن رجل يتنبأ ..
لا أدرى كيف نمت .. كيف انزلقت قدماى لاشعورياً
إلى ذلك العالم الغامض ..

فقط كنت هناك ، وكانت هناك آلاف الأصوات
تقول لى : فات الأوان .. فات الأوان !

ومن مكان ما رأيت رجلاً يبدو كأنه من بلاط

(لويس الرابع عشر) إن لم يكن هو (لويس الرابع عشر) شخصيًا ، وقد ابتسم وقال لى : كان يجب أن تصدق ..

ثم شعرت بأن الأرض تميد تحت قدمى ، وانزلت إلى ما لا نهاية .. حلم السقوط .. أقدم الأحلام البشرية وأشهرها .. وكنت أعرف طبعًا أنني - كالعادة - سأصحو فى الفراش مذعورًا قبل أن ألمس قاع الحفرة .. حتى فى الكوابيس أظل ملاحظًا جيدًا ..

بالفعل صحت ونظرت إلى الساعة .. الثانية والنصف ..

لا أدري .. لكن كل شيء فى كياتى يقول لى إنه يجب أن أتأكد ..

ماذا سيقول لو سمع صوتى أعيد الاطمئنان فى الثانية والنصف صباحًا ؟ ليكن .. سيقول إننى مجنون وإن الوحدة دمرت جهازى العصبى .. وماذا فى ذلك ؟ كم من سباب تلقيت وأنا أقود سيارتى ، فهل غير هذا شيئًا أو أنقص من قدرى ؟

الهاتف الحكومى الأسود البارد .. أدير القرص ..
كريك .. كرووووووو .. كريك .. كرووووووو ..
كريك .. كرووووووو ..

- « ألو .. من ؟ »

بصوت ناعس ثقيل منزعج ..

- « هل أنت بخير ؟ »

هذه المرة بلغ غضبه حدودًا غير قابلة للنشر ..
لا تنس أن هؤلاء الذين يخلقون شواربهم من أعلى
يغضبون أسرع من سواهم ..

- أنت مجنون بالتأكيد .. قلت لك إن لدى قضية ..
قد .. ضد .. ي .. ة ! »

وخطر لى - باسمًا - أننى ربما ساعدت فى تحقيق
النبوءة لو أنه أصيب بنوبة قلبية الآن ..

- « تجدنى قلقًا .. هل أنت متأكد من أن »

- « لم يحدث (زفت) .. والآن هلا حاولت أن تنام
قليلاً ؟ إننى »

هنا سمعت دقات الجرس ..

عنده لا عندی طبعاً ..

قال فی ضیق :

- « وما هذا أيضًا ؟ انتظر .. »

صحت مذکوراً بأعلى صوتی :

- « لا تفتح الباب .. تأكد أولاً من »

لا جدوى .. لقد ترك السماعه .. ثم سمعت صوته
قادمًا من بعيد .. يتساعل فى زمجرة :

« من ؟ »

طبعاً لم أسمع صوت الطرف الآخر ، لكنى سمعت
المزلاج يتحرك مع جملة من أصوات المفاتيح التى
تدور فى الأقفال .. ثم :

- « لماذا جئت في هذه الساعة بالذات ؟ »

ثم :

— «آی یی یی یی یی»

صوت معركة .. صوت ارتطام
صوت خطوات تجول فى الصالة .. ثم
لا شىء ..
لقد عادت السماعه إلى موضعها السابق

★ ★ ★



صوت معركة صوت ارتطام صوت خطوات تجول في
الصلاة . ثم لا شيء !!

٧ - هدى شوقى ..

الغرفة مفعمة بدخان التبغ الذى تجمد فى الهواء
تمامًا ، وراح ينذر بهطول الأمطار .. فقط كانت
الدوامات تتحرك كلما تنقل أحدهم فى الغرفة من
مكان لآخر .. عندها يمكنك أن تدرس الحركة
الدوامية بدقة بالغة ..

كانوا جميعًا يلبسون القمصان مشمرة الكمين
وربطات العنق ، وقد تدلت لفافات التبغ من فم كل
واحد كأنها جزء من تشريح الفم ذاته ..

وكان كبيرهم الذى يدنو من الخمسين - على
قدر تصورى - يصغى لى فى اهتمام وهو يعبث
بقداحة فى يده .. يشعلها ويطفئها بلا انقطاع ..

من جديد عاد يسألنى :

- « أنت إذن مصر على أنك سمعت القاتل وهو

يقرع جرس الفقيد فى الثانية والنصف صباحاً . لكنه
لم يلفظ اسمه .. »

- « بالتأكد يا سيدى .. »

- « هم م م م ! »

سألنى أحد الشباب المتحمسين العصبيين قليلاً :

- « وهذا يرجح أن الفقيد كان يعرف القاتل .. »

قال أكبرهم بلهجة المعلم :

- « ليس هذا ضرورياً يا (علاء) .. ربما كانت لدى

القاتل حجة قوية ترغم صاحب الدار على فتح الباب ..

وهو لا يعرفه .. لاحظ أن الفقيد محام وربما أخبره

القاتل أنه جاء ليبلغه شيئاً بصدد قضية مهمة .. »

قلت لهم فى إصرار ما قلته عشر مرات :

- « القاتل يدعى (فوزى شفيق) .. ولا أحد

سواه .. »

- « تقول إنه أخبرك بموعد الوفاة قبل أن تحدث .. »

- « نعم يا سيدى .. وهذا يعنى أنه هو القاتل
أو من أرسل القاتل .. »

فكر كبيرهم كثيراً وراح يفتح القداحة ويغلقها
مراراً .. ثم فك ربطة عنقه أكثر وقال :

- « وأنت لا تعرف عنوانه .. ولا من هو .. »

- « لا يا سيدى .. لكنه - كما قلت - يتصل بى
بانتظام .. وإننى لأطلب »

- « نعم .. نعم .. مراقبة هاتفك .. لقد طلبنا إذن
النيابة .. »

عدت أقول وأنا أجاهد للبحث عن أكسجين وسط
كل هذا الدخان :

- « ثمة نقطة مهمة أخرى .. القاتل ترك بصماته
على الهاتف .. أنا متأكد من هذا وإلا كيف عادت
السماعة إلى مكانها ؟ »

- « أخذنا البصمات من كل شيء .. لكن هذه الأمور
تستغرق وقتاً .. »

فرغت من قهوتي فوضعتها فى الطبق ، ونظرت
لهم متسائلاً ..

قال الحميد (سليمان) وهو يصافحنى بيد قوية ،
وعينين مرهقتين لكنهما تشعان ذكاءً مخيفاً :

- « يمكنك الانصراف يا دكتور .. وأرجو أن
تطمئن .. »

★ ★ ★

الآن صارت الأمور واضحة بالنسبة لى ..

كنت أبحث عن عراف عبقرى فإذا أنا أمام قاتل
ومجنون حرائق .. هذا هو التفسير الوحيد ولا تفسير
سواه .. فى المطعم كان هناك والاحتمال أنه وضع شيئاً
هناك ثم انصرف .. شيئاً يشعل النار بعد قليل ..

مقتل صديقى - بل زميلى - المحامى الذى يحلق
شاربه من أعلى .. طبعاً أفضل من يخبرك بالموعد
الذى سيموت فيه فلان ، وهو قاتل فلان نفسه ..
هذا هو التفسير الوحيد ..

الامتحان ؟ لِمَ لا يكون هناك تسرب ؟ هذه الأمور
تحدث ..

الدجاجة ؟ لن أتخلى عن قناعاتى وفلسفتى لمجرد
أن هناك من أخبرنى أن دجاجتى تحترق .. الآن
صار على رجال الشرطة أن يجدوه ، وهذا مرهون
بمكالمته التالية لى ، وهى آتية لا محالة لأنه لن
يطبق ألا يتكلم ويبدو بمظهر الطيم ببواطن الأمور ..

ووقفت فى الشرفة أرمق الشارع الخالى وأقول
لزميلى المحامى الذى يحلق شاربه من أعلى :

- « لا تقلق .. لسوف نظفر بقاتلك .. الآن تعرف
أننى لم أكن مجنوناً وأنه كان من الغباء أن أتركك
عائداً لدارى .. لربما لو بقيت معك ساعتين أخريين
لاستطعنا منع القاتل من التنفيذ .. يجب أن تتعلم أن
تثق بالعجوز (رفعت إسماعيل) وأن تصغى له فى
المرّة القادمة .. »

هل هذا صوت الهاتف ؟

نعم .. هو ..

لم أعتد أن أسر بصوت الهاتف كما صرت اليوم ..
كالمسوع جريت إليه ورفعت السماعة ، وكان
صوته الهادئ الواثق :

- « مساءً الخير .. »

قلت دون أن أرد التحية :

- « أنت قتلتته .. »

- « بالطبع لا .. »

ثم أضاف فى برود :

- « لا تضع آمالاً عريضة على هذه المكالمة فأنا
أتكلم من هاتف عمومى .. »

كيف خمن ؟ لكن .. لا .. هذا مجرد حدس يمكن
أن يصل إليه بالاستنتاج المنطقى ..
لم أرد فعاد يقول :

- « الآن وقد تمت المأساة ولم تبذل جهدك لمنعها
فإبنى .. »

- « لحظة .. من قال إننى لم أبذل جهدى ؟ »

- « لم تبذل وإلا لكنت معه عندما دخل القاتل الشقة وطعنه فى عنقه .. أنت جربت إقناعه بنصف قلب .. بنصف عقل .. والسبب هو أنك لم تصدق .. يذكرنى هذا بالقس الأمريكى الذى دعا الناس كي يحتشدوا فى الكنيسة ليصلوا طلباً للمطر .. حين جاء المصلون اتهمهم بنقص الإيمان .. السبب هو أن أحداً منهم لم يحضر معه مظلة وهو قادم للكنيسة .. لو كان مؤمناً حقاً لاستعد لمواجهة الأمطار الغزيرة فى طريق العودة !! »

قلت فى غيظ :

- « كف عن خلط الأمثلة والتلاعب بالألفاظ .. أنت لست ديناً كي أومن بك .. أنا لم أضيع لحظة واحدة أصارك فيها بأنك نصاب .. »

ثم أضفت فى خبث :

- « لاحظ أن الحادث لم يجد طريقه للصحف بعد ،
وبرغم هذا أنت تعرف كل شيء عن الطعنة فى
العنق .. »

ضحك كثيرًا جدًا بلا ضحك فى الواقع وقال :

- « طريقة القصص البوليسية السخيفة .. أنا لم أطلق
الرصاص على اللورد ياسيدى المفتش .. آه ه ه ه !
كيف عرفت أنه قتل رميًا بالرصاص يا مستر (ويليامز) ؟
معنى هذا أنك القاتل .. »

- « هل تجد طريقة أخرى للتفكير ؟ »

- « وماذا لو كان المستر (ويليامز) قادرًا على
التنبؤ ؟ »

ثم أضاف قبل أن أعلق :

- « دعنا الآن نكف عن السخف .. واضح أنك أحمق
وأن الخطر قادم نحوك لا محالة .. لهذا سأعطيك
فرصة أخرى .. »

وأخذ شهيقاً عميقاً وأضاف :

- « لا تثق بـ (هدى شوقى) .. »

بعد تفكير وجدت أنه على حق .. من ذلك المجنون
الذى يثق بـ (هدى شوقى) ؟ خاصة أننى لا أعرف أية
واحدة تدعى (هدى شوقى) ..

قلت له فى صبر :

- « لم أسمع عنها قط .. »

- « ستسمع .. ستسمع .. والآن سلام .. »

ثم قبل أن أضع السماعة سمعته يواصل الكلام :

- « كنت تتسنى أهم شىء فى هذه المحادثة للمسمومة ..

قل لرجال الشرطة أن يبحثوا عن (مصطفى غازى) ..

إن أوراقه موجودة فى مكتب صديقك المحامى .. موعدك

اقترب جداً .. أرجو أن تفكر بعناية .. »

- « شكراً .. »

- « ولا تنس اللبن على الموقد !! »

قالت (هدى شوقى) وهى ترفع بعض الخصلات
عن وجهها :

- « أنا (هدى شوقى) .. جارتك فى الشارع .. »
نظرت لها فى غباء ، ولم أشعر بأننى رأيتها من
قبل ..

قالت وقد رأت الغباء المجسد على ملامحى :

- « أعرف .. أنت منطق تمامًا ولا تلاحظ أى شىء
فى الشارع . لكننى جارتك منذ خمسة أعوام .. أنت
د. (رفعت إسماعيل) .. تسكن فى البناية ذات
المدخل الرخامى الأسود .. »

كانت المعلومات دقيقة .. وكانت رائعة الجمال إلى
حد أننى لم أجروء على النظر لها مباشرة .. النظر
إلى الشمس اللاهبة أسهل ..

لهذا نظرت فى ضيق إلى موظف البريد الذى راح
يختم عشرات المظاريف ، كأننى نصب تذكارى
لاهمية له .. كان الطقس حارًا ومكتب البريد

مكتظاً بالناس وقد بدأت عدوانية الزحام تحول الواقفين إلى مجموعة من الدجاج فى (عشة) ضيقة .. حتى توقعت أن يبدأ بعضنا ينقر البعض فى العنق .. أو أن أعتلى المنصة الرخامية لأصبح كالديك ..

كانت تحمل فى يدها عدداً من الجنيهاات .. وقد بدت حائرة ..

قلت لها فى ذكاء :

- « تريدن تجميدها ؟ »

هزت رأسها فى أناقة :

- « أرسل عشرة جنيهاات لخالتي فى (البلد) أول كل شهر .. هى لا تقوى على إجراءات الحوالات البريدية »

مددت يدى إلى جيبى أفتش عن ورقة من ذات الجنيهاات العشرة .. ها هى ذى واحدة ..

ناولتها إياها وناولتني الجنيهاات .. ورأيتها تخرج

مظروفاً كتب عنوان ما وألصق طابع بريدى عليه
فدست الورقة فيه ثم ألصقته بلعابها واستعدت
لتناوله للموظف .. هنا كنت قد انتهيت من العد
مرتين بذلك الشكل المجامل الذى لا يوحى بأئنى أعد ..

- « إحم .. هذه ثمانية جنيهات .. »

بدا عليها الذهول وطلبت منى فى إلحاح أن أعاد
العد :

- « كيف ؟ أنا متأكدة .. »

- « صبراً .. واحد .. اثنان .. خمسة .. ثمانية ..
الرقم صحيح .. »

أطلقت زفيراً حاراً من بين شففتيها .. ورفعت
عويناتها السوداء لتستقر على مقدمة رأسها ، وقالت
فى ضجر :

- « أووووف ! تباً .. ليس معى المزيد من المال ،
وليس معى مظروف أو طابع آخر .. هذا مستفز .. »

قلت فى ملاكية وأنا أو شك على دس الجنيهات
فى جيبى :

- « لا مشكلة .. تقولين إننا جاران وهذا .. »

- « بل أنا مصرة على التسوية .. »

وبحزم أضافت وهى تأخذ الجنيهات الثمانية من
يدى :

- « من فضلك يا دكتور .. أنت لا تمنحنى
بقشيشًا .. »

ثم مدت يدها فناولتنى المظروف الذى كان فى
يدها :

- « هاك .. سأحضر لك باقى مالك من السيارة
بالخارج .. لكن أرجوك أن تحتفظ بهذا المظروف ..
فورقة الجنيهات العشرة فيه .. »

وابتسمت فى ثقة وشقت طريقها وسط الزحام ..

هذه أنثى واثقة سريعة البديهة وعلى قدر عال من

الكبرياء .. لو كانت واحدة أخرى لقبلت تطوعى
بالتضحية .. لكنها ترفض أن تأخذ شيئاً من دون
ثمن ..

طبعاً انتظرت ساعتين بانتظار عودتها دون جدوى ..
طبعاً لم أجسر على فتح المظروف إلا بعد ساعة
أخرى ..

وطبعاً لم أجد بداخله إلا ورقة بيضاء ..
وقد قال لى أحد أصدقائى فى الشرطة حين حكيت
له هذه القصة :

- « هذه الطريقة فى النصب متبعة منذ عام ١٤٥٦م ،
وكل طفل فى السابعة يعرفها .. هل كنت تعيش فى
كهف طيلة هذه الأعوام ؟ »

- « تقريباً .. »

- « إنها استبدلت بالورقة المالية تلك الورقة البيضاء
خلسة ، وأنت تبترسم فى بلاهة وأمومة كالموناليزا ..

هكذا سلبتك جنيهاًك العشرة واستردت مالها .. ومن
الواضح أنها كانت تعرف شيئاً عنك وعن سكنك ..
لا بد أنها اختارتك أنت من بين كل عملاء مكتب
البريد .. ويبدو أنها كانت على حق .. »

ثم سألتني باسمًا :

- « هل ترغب في أن تكتب محضرًا ؟ »

صحيح أن عشرة جنيهاً كانت مبلغاً فادحاً
في ذلك الوقت ، لكني لم أكن متحمساً إلى هذا
الحد ..

فضلاً عن أنني لا أحب أن أسجل حماقاتي على
الورق الرسمي ..

- « لا شكرًا .. »

وهنا تذكرت اسمها .. (هدى شوقي) .. لا تتق
ب (هدى شوقي) .. هذا هو الإنذار الذي قدمه لي
(فوزي) وبالطبع نسيته تماماً ونسيت الاسم ، فلم
أتذكره إلا الآن ..

لا أريد من هذا كله استخلاص حقيقة أننى أحمق
سهل الخداع ، فكل طفل يعرف هذا .. لكنى أردت
القول إن ذلك الرجل يعرف حقاً ما يتكلم ..
(فوزى شفيق) يرى الغد حقاً ..

★ ★ ★

٨ - فوزى شفيق (٣) ..

الغرفة مفعمة بدخان التبغ الذى تجمد فى الهواء تماماً ، وليست هذه غلطة جعلتنى أكرر ما قلته فى الموقف السابق .. السدة المدخنون يلتفون من حولى .. لكنى هذه المرة لست مركز الاهتمام ..

مركز الاهتمام رجل قصير القامة ، يجلس فى المركز وفى يده لفافة تبغ ترتجف قدمها له أحد الضباط ليهدئ من روعه قليلاً .. عيناه زائغتان ككل القتلة الذين ترى صورهم فى صفحات الحوادث .. والأمر بالنسبة لى لا يحتاج إلى المزيد من التحقيق ..

عاد أكبر الضباط يسأله :

- « أنت مصر على أنك لم تر الأستاذ (محمد مرزوق) منذ شهر . أليس كذلك يا (مصطفى) ؟ »
- « بلى يا سيدى .. أقسم إننى .. »

رفع الضابط يده ليخرسه :

- « قبل أن تقسم أيها الزنديق .. دعنا نؤكد لك أنك شوهدت فى الشارع ليلة الجريمة بالضبط .. »
كانت دموعه جاهزة بضغطة زر ، وقد ضغط عليه لتنهمر الدموع مدرارًا :

- « وماذا فى ذلك ياسيدى ؟ هذا شارع عمومى .. »
- « وبصماتك الموجودة فى كل مكان من الشقة ؟ وعلى سماعة الهاتف .. »

لم يجد ما يقول فبادره الضابط الثانى المدعو
(علاء) :

- « أنت قتلتَه .. كنت تعرف أنه سيفتح الباب لأن قضيتك مازالت طازجة .. فما إن استجاب لرجائك حتى فتح الباب ، وانغrust السكين فى عنقه .. »

- « هذا ظلم ! »



فَمَا إِنْ اسْتَجَابَ لِرَجَائِكَ حَتَّى يَفْتَحَ الْبَابَ ، وَانْفِرَ السَّكِينُ

فِي عُنُقِهِ

- « كنت متهمًا بالسطو المسلح واستطاع هو
تبرئتك لأنه حسب أنك مظلوم .. لم يعرف أنه أطلق
سراح الأفعى التى ستعضه .. »

قال الرجل وقد تصاعد أداؤه بأسلوب (كريشندو)
المسرحى المعروف :

- « حرام . حرام .. هذا ظلم !! »

- « وكنت تعرف أن الفقيد يعيش وحده ، وأنه
سيفتح بابه لك فى أى وقت ، وأنه فى الغالب يحتفظ
بمبالغ مالية ضخمة فى بيته .. »

الآن وصل الأداء لدرجة الذروة العبقرية ، فنهض
مغطيًا وجهه بيديه :

- « أنا برىء ! برىء ! برىء .. »

وكانت هذه هى اللمسة الاحترافية المطلوبة لأن كل
الضباط انفجروا فى التصفيق كأنما يرغبون فى أن
يعيد هذا المشهد المحكم ..

لما انتهى التصفيق قال (مصطفى غازى) المتهم
الوحيد فى الجريمة ، وهو يقاوم رغبة عارمة فى
الاحناء للتحية :

- « كان الشيطان أقوى منى .. لقد .. لقد جعلنى
أقتل الصديق الوحيد الذى وثق بى ودافع عنى
بحماسة .. وكل هذا .. كل هذا ولم أجد فى شقته
إلا عشرين جنيهاً .. »

- « يا للخسارة ! عنقك مقابل عشرين جنيهاً .. »
ثم قال كبير الضباط بلهجة مسرحية مناسبة
للموقف :

- « خذوه .. »

وهكذا اقتادوا المجرم إلى مصيره الغامض كما
فى مسرحيات (سوفو كليس) ، على حين ظلت
أنا ثابتاً أرقب هذا كله .. وقلت ملاحظة خطرت
لى :

- « لماذا لم يرتد القفازات قبل أن يفتش البيت ؟ »

أشعل كبير الضباط قداحته وأطفأها وقال :

- « لأنه ليس فى إحدى روايات (أجاثا كريستى)
حيث المجرمون العاقرة .. هذا مجرد حيوان يتصرف
بالغريزة .. ذئب مسعور يمزق من أمامه دون حذر
أو تأنيب ضمير .. وهو لا يؤمن بالبصمات وهذا الكلام
الفارغ .. على كل حال ما كنا لنفكر فيه إلا بمعجزة ،
لولا أنك نبهتنا إلى اسمه .. وهذا يعنى أن البصمات
لم تكن لتفيدنا كثيراً إلا بعدما وضعنا فى ذهننا
شخصاً بعينه .. »

قلت فى تواضع :

- « سيدى .. أنا لم أنبهكم لاسمه .. أنتم سجلتم
المكالمة كاملة مع المدعو (فوزى شفيق) .. »

- « لكنك أخبرتنا بأمر (فوزى شفيق) هذا .. والحققة
أننا نحب أن نستدعيه لنسأله بعض الأسئلة .. لكننا
لم نستطع تتبع المكالمة ، كما أن رجالنا لم يعثروا
بعد على مكانه .. »

ثم نظر لى مبتسماً منهاً ففهمت على الفور ،
ونهضت مستأذناً ..

بالنسبة لى هذه القضية أهم شىء فى حياتى ، لكنها
بالنسبة لهم مجرد جزء من أجزاء عملهم المعقدة
المتشابكة ..

★ ★ ★

مر أسبوع دون أن يتصل بى (فوزى شفيق) ..
كنت فى هذه الفترة ألعب دور الفتاة التى تضايقتها
مكالمات محب لا تعباً به على الإطلاق .. فلما انقطعت
مكالماته بدأت تتوتر وتقلق .. لماذا لا يتصل ؟ لكنها
- برغم هذا - لا تعرف لنفسها بأنها قلقة أو تلاحظ ..
كنت أتساءل عن سبب انقطاع مكالماته .. ثم أقول
لنفسى : ماذا تريد من هذا النصاب ؟ كل ما قال يمكن
تفسيره منطقياً .. من أدراك أنه ليس المدير لهذا كله ،
وأن (هدى) و (غازى) كانا يعملان معه ؟

ثم أقول لنفسى : وما الفائدة من هذا المجهود المفضى ؟
هل لمجرد أن يثير انبهارى ؟ لست الإسكندر الأكبر على كل
حال .. هذا الفتى يخفى سرّاً مخيفاً رهيباً .. ولكن ما هو ؟

كلا .. لن أنتظر مكالمات (فوزى شفيق) لأننى
أظن به الظنون ..

لكنى - كذلك - أنتظرها لأنى أظن به الظنون !

وحين دق جرس الهاتف للمرة الثانية فى عشرة أيام
شعرت بضيق لأن هذا البيت تحول إلى سنترال
عمومى .. ثم تذكرت أن المتكلم قد يكون هو بالذات ..
هرعت فى لهفة إليه ورفعت السماعة ..

- « آلو .. »

قال فى استمتاع :

- « أرى أن الحذر لا يمنع القدر .. لقد خدعتك
(هدى شوقى) .. »

- « دعك من هذه القصة .. إنها مجرد كلام فارغ .. »

- « أنا كذلك أرى هذا .. لكنى لا أترك فرصة لجعلك
تعرف ما أعرفه إلا واغتبتها .. والآن هل صدقتنى ؟ »
قلت فى ضيق :

- « صدقت أنك لغز .. لكنى لم أصدق بعد أنك
تعرف ما سيحدث .. »

فى نفاد صبر غمغم :

- « ليكن . يا للملل ! أنت حالة غير قابلة للعلاج ..
ولكنى مازلت أوصيك بأن تطيعنى .. »
ثم أردف :

- « بعد دقيقة سيدق جرس الباب ، ولسوف تكتشف
أن فاتورة الكهرباء مرعبة .. حاول ألا تلفظ أنفاسك
الأخيرة .. »

قلت فى برود :

- « اطمئن .. هذا لن يقتلنى .. »

- « أعرف أنك لن تموت لسبب كهذا .. لا تنس أننى
أعرف ظروف وفاتك جيداً ، لكن ربما خذلى علمى .. »

وضعت سماعة الهاتف وأنا أشعر بشيء من التجديف
فى هذا الذى يقوله .. إن هذا الوغد يزعم أنه أوتى
القدرة على معرفة أين ومتى أموت ، وهو ما يتجاوز
دائرة الغرور إلى دائرة التجديف الصريح ..

لا أرى أننى أتجاوز حدودى لو قلت إننى خائف ..
لو قلت إننى قلق .. ثمة شىء ما يعرفه هذا الرجل ،
وحتى اللحظة لم يثبت لى أنه مخطئ ..

رفت سماعه الهاتف وطلبت شركة الطيران .. بضعة
أيام فى (رومانيا) مع (جوستاف) قد تنسينى هذه
الأمور .. إن مصاصى الدماء يناسبون صحتى أكثر
من أى شىء آخر ..

ثم تذكرت .. من قال إنه لا خطر هنالك فى رومانيا ؟
إن الموت موجود هناك كأى مكان آخر .. ربما أكثر ..

وضعت السماعة ورحت أفكر .. الإسكندرية الجميلة ؟
لِمَ لا ؟ ولكن من أدرانى أن ؟

الحقيقة أننى أكرر سيناريو قصة (موعد فى سمارة)
الشهيرة لـ (سومرست موم) .. التاجر فى بغداد يرى
الموت ينظر له مندهشاً .. يصاب التاجر بهلع ويجمع
كل أشياءه ويعلن لرفاقه أن الموت نظر إليه ، وأنه
يعرف أن نهايته دانية لهذا سيفر إلى بلدة (سمارة)
التي يصلها الليلة ..

يفر التاجر وبعد قليل يقابل صديقه الموت يمشى
فى الأسواق .. يقترب منه ويسأله : لماذا نظرت إلى
صديقى وأفزعته ؟

يقول الموت : كنت مندهشاً لأننى قابلته فى بغداد
بينما المفترض أن ألقاه هذا المساء فى (سمارة) !!
هل أنا أكرر هذه القصة ؟ أتجه بالضبط إلى حيث
يراد لى أن أكون ؟

ومن قال إن كلمات هذا الفتى تحمل قوة الأقدار
ونفاذها ؟ إن موتى سيكون فى ساعة محددة ووسيلة
محددة لا يعلمهما إلا الله ، ولن تتغيرا مهما قال كل
عراقى العالم ..

لكننى برغم كل شىء أشعر بالحصار .. أشعر بأن
ظهرى للحائط .. وهو ضعف بشرى طبيعى يتحدى
المنطق ..

ربما أستطيع أن أحسن الفرص لو تركت دارى ..
لو انتقلت إلى (سمار) ... إلى قرىتى .. هناك وسط أهلى

وعالمى الحميم أكون فى أمان نسبى .. إن فرص الأخطار
التي تحيط بكهل وحيد فى شقيقته هى أكثر مما يتهده
وسط قرية مزحمة يعانى أهلها مرض المودة الزائدة ..
وهكذا فعلت كل ما اعتدت أن أفعله عندما أغادر بيتى
لفترة طويلة .. صمام للغاز .. النوافذ .. منكرة لـ (عزت) ..
مصيدة الفئران من أجل ذلك الفأر المزعج .. الحقيبة ..
ثم .. إلى (كفر بدر) ..

★ ★ ★

٩ - عبد الواحد مهدى ..

طبعاً لم يعد للبيت ذات المذاق القديم بعد رحيل أمى ، وبالمثل صارت زيارتى للقرية أقل ..

إن هؤلاء المسنين الأعزاء - الآباء والأمهات - يلعبون دور القبضة التى تعصر حبة من الرمال .. وهم يضغطون بقوة لكن ما إن يجيء القضاء وتتخلى قبضتهم عن الرمال ، حتى تتبعثر حبيبات الرمل فتجد صعوبة فى جمعه .. لهذا يظل الأب هو الأب مهما تدهور ومهما وهنت قواه .. والمثل الشعبى يقول : « أبويا أبويا ولو عضم فى قفة » .. هو الشئ الوحيد الذى يعطى البيت معنى (بيت) ، وهو القادر الوحيد على جمع أسرته فى مكان واحد ..

كانت (رقيقة) العزيزة تنتظرنى ومعها زوجها (طلعت) والأبناء الذين كبروا حتى لم أعد أعرفهم بسهولة ..

قالت لى وهى تعانقنى :

« حمدًا لله على السلامة يا أخى .. أرجو أن تكون
زيارتك فى الخير .. »

فهى تعرف أننى فى الفترة الأخيرة لا آتى إلا هربًا
من خطر ..

(سمارة) .. ظلت الكلمة تتردد فى ذهنى وأنا أفتح
حقيبة السيارة لأوزع ما أحضرت للأطفال معى .. لو كنت
قد هربت إلى (سمارة) فأنا أحمق ؟
لكن كيف لى أن أعرف ؟

تناولت معهم طعام الغداء ، وثرثرنا كثيرًا طبقًا ..
لقد كف الناس والحمد لله عن سؤالى عن موعد
زواجى .. صاروا يسألون عن صحتى فى حذر .. لا أكثر
ولا أقل .. لكن (رنيقة) وزوجها لم ينسيا أن يسألا
عن (ماجى) تلك الخواجاية الحسناء التى أمضت
معهما وقتًا لا بأس به .. وكانت هاربة أيضًا ..

بعد الغداء أعلنت (رقيقة) أن بوسعى أن أصعد
إلى غرفتي لأتال قسطاً من الراحة .. جلبابى على
الفراش ولو أردت شيئاً يكفى أن أطلب ..

شكرتهما بشدة ، واتجهت لأصعد الدرجات الطينية
الرطبة الزلقة قليلاً التى تقود إلى حجرتى القديمة ..
طبعاً لابد أن أحترس كى لا أسقط ، وكى لا أدوس
البط الذى يتواثب على درجات السلم قادماً من
السطح ..

فراشى القديم العزيز .. والوسادة والسقف المدعم
بألواح الخشب .. ياله من زمن سحق !

نزعت ثيابى وارتديت الجلباب - على سبيل استعادة
الجنور - وتأملت نفسى فى المرآة المشروخة المطلقة
فى ركن الغرفة .. فزاعة (خيال مقاتة) ترتدى
جلباباً أبيض وتبتسم ..

ثلاثة أيام .. يجب ان تمر ..

بعدها سأعرف أننى أحقق أو من بالخرافات ..

أنا واثق من هذا ..

أما لو مت فمن العسير أن تلعب المصادفة دورها
بحيث أموت يوم الجمعة مساءً .. ربما قبل ذلك بقليل
أو بعد ذلك بقليل .. عندها سأعرف أن (فوزى)
نصاب فعلاً وأنتى أحق !

★ ★ ★

قطرة من قطرات الندى قبل شروق الشمس ..
لحناً سمعناه لثوان هنالك من الدغل ..
ثم هزنا الرءوس ، وقلنا إننا توهمناه ..
وداعاً أيها الغريب ..
لكن كل شيء ينتهى ..

★ ★ ★

اليوم هو ١٤ يونيو ..
يوم حار رهيب يناسب فعلاً أن يكون أخطر أيام
حياتى ..

١٢٩

[م ٩ - ما وراء الطبيعة عدد (٥٣) أسطورة النبوءة]

صحت قبل صلاة الجمعة بنصف ساعة ، وكنت غارقاً في العرق ، والبعوض لم يترك موضعاً سالماً من جسدي .. لو رأيتني الآن لخصبت أنني كنت العيب الملائمة مع (كلاً) شخصياً ..

توضأت واتجهت إلى مسجد القرية الذي لم يتغير عبر السنين .. وما زالت تلك النخلة تميل على جداره دون أن تسقط أو ينهار الجدار ..

طبعاً لا بد من الجباب حتى لا أبدو مبتذلاً بالنسبة للناس هنا ..

جلست وسمعت الخطبة ثم أدت الصلاة ، وبعدها وقفت وسط عدد من الأمالي أجد صعوبة في تذكر أسمائهم .. لكنهم دائماً هناك ..

كثير من الأسئلة عن الإسهال والديدان والأعصاب والسكر وارتفاع ضغط الدم .. وكثير من التسلمات والدعوات كي (أتفضل) ..

الحقيقة أنني عانيت كثيراً في الأيام السابقة .. تصور وطواظاً بشرياً يرغمونه على ممارسة حياة صاخبة ..

فى كل ليلة هناك من يزور أو يزار و (رضا) اخی
يهمس فى أذنى :

« ألن تزور (عبد الواحد مهدى) ؟ »

فأقول له : إننى لا أشعر بأذنى رغبة فى زيارة من
لا أعرفه أصلاً ..

يقول فى توحش وهو يضغط على كلماته :

« كبيرة ! كبيرة ! تريد أن تبقى فى البلدة ثلاثة
أيام دون أن تزور (عبد الواحد) ؟ أنت صرت ابن
المدينة ولا تفهم ما يفهمه الفلاحون .. هذه أمور
بديهية .. لا تنس أنه كان العمدة يوماً .. »

وهكذا أذهب معه بأسلوب (جطلوه فاتجطل) الشهير ..

هناك يكون (عبد الواحد) جالساً فى الدوار يشرب
الشامى الأسود ويشترط مع رجال آخرين .. وأدخل
للتصاعد التعليات وتخرج السجائر من عليها .. ويبدأ
السلام عن المرحوم أبى وعن (أبو زينة) ..
(أبو زينة) الذى سيدفع الثمن غالباً .. من هو

(أبوزينة) ؟ طبعًا لا أعرف ولا أجرو أن أسألهم كي
لايجنوا .. من المفترض أنه شخص شديد الأهمية
ليسيطر على ثلاث ساعات من الحوار ..

وبعد أربعة أكواب من الشاي الأسود وعشرين
لدغة بعوض ، أشكرهم وأنهض مع أخى عائدين ..
هنا يختصر (رضا) ذراعى ليقول ناصحًا :

- « الآن نزور (عبد البارى) .. »

- « (عبد البارى) ؟ »

- « نعم .. (عبد البارى خضر) .. »

- « وهل لابد من أن ؟ »

هنا يحمر وجه (رضا) وتتسع عيناه ويسيل لعابه
من فرط الغيظ :

- « هل تريد أن تزور (عبد الواحد) ولا تزور
(عبد البارى خضر) ؟ لوعرف (مسعد) بهذا لجن
جنونه .. ماذا تقول الناس عنا ؟ لا .. كبيرة ..

كبيرة .. إن المجاملة مهمة فى الريف يا (رفعت)
يا أخى .. أحياناً أحسبك .. »

- « نعم .. نعم .. ابن المدينة الرقيق الذى لا يفهم
قواعد المجاملات الرجولية .. لكن صدقنى إن لعبة
التوازنات هذه موجودة فى كل مكان .. »

- « إنن نزور (عبد البارى خضر) .. لاتسأله عن
(صفوان) أبداً .. أنا أعرف أن لسانك زلق .. »

هكذا لا يعود بوسعى أن أسأل من هو (صفوان) هذا ..
وثلاث ساعات عند (عبد البارى خضر) لانسأل فيها
عن (صفوان) ، وكوبان من الشاى الأسود ، ثم أعود
لدار لأفرغ معدتى التى التهب من حمض التانيك ..

هذا يلخص لك كيف مرت بى ثلاثة أيام كاملة
هنا . ولو كان (فوزى) هذا نصاباً فإتنى قد دفعت
ثمناً فادحاً لحماقتى ..

تناولت الغذاء الدسم ثم سعدت إلى حجرتى لأنام
قليلاً ..

عندما أصبحو سيكون الليل قد جاء وأعرف ..
أعرف ..

لكن الألم بدأ يتزايد فى صدرى ، تلك الكماشة التى
تطبق أكثر فأكثر من دقيقة لأخرى .. أكثر فأكثر ..
أكثر فأكثر ..

نهضت إلى حقيبتى فأخذت قرصاً من النتروجلسرين
- رفيق كفاحى - ودسسته تحت لسانى وانتظرت حتى
يزول الألم ويبدأ الصداع كالعادة ..

لقد اعتدت الذبحة الصدرية منذ سنوات حتى صارت
(أسلوب حياة) ، بل إننى لم أعد أفهم كيف يعيش
إنسان دون أن يشعر بآلام خلف عظمة القص وفى
الكنف اليسرى ..

لكن الألم لم يزل .. إنه يتزايد ..

نظرت لوجهى فى المرآة وابتسمت فى خبث ..

غالبًا هذه نوبة قلبية شديدة ..

أولاً : ليست هذه تلك الكارثة البشعة التى وصفها
لى (فوزى شفيق) .. ما الجديد فى هذا ؟

ثانياً : واضح أن الليل لم يأت بعد .. هذا يثبت لك
أن كلام الرجل خطأ .. حتى لو مت الآن فقد انتصرت
عليه ..

تباً .. الألم يتزايد ..

هل أخبر الآخرين ؟ لا .. من الواضح أننى أحب
أن أحل مشاكلى بنفسى حتى لو كانت مشكلة بسيطة
كالاحتضار .. ثم إننى الطبيب الوحيد هنا والمفترض
أن أعرف ما ينبغى عمله ..

هنا سمعت (رقيقة) تنادىنى من الخارج :

- « (رفعت) .. »

قلت ضاعطاً على أسنانى :

- « م م م م م ! »

واتجهت إلى الباب ففتحته ..

نظرت فى رعب إلى وجهى الشاحب - بلاشك -
والعرق الذى نما على جبينى وتساءلت فى رعب :

- « هل أنت بخير ؟ »

- « م م م م م ! »

- « لا تبدو كذلك .. »

- « بل أنا بخير وإن لم أبد كذلك .. ماذا تـ... تريدین ؟ »

قالت وهى لا ترفع عينيها عن جبهتي الملوثة بالعرق :

- « هناك من جاء من عند (عبد الواحد) .. يقول

إن هناك مكالمة لك من مصر .. »

ومصر عند المصريين هى القاهرة طبعا ، لأن قريتي
ليست فى ألاسكا .. أما (عبد الواحد) فأنت تعرف أنه
من عليّة القوم ، وطبعًا يملك جهاز هاتف .. من يدري ؟
ربما هو والعمدة فقط يملكان واحدًا ..

قالت (رقيقة) :

- « سيعيد الاتصال بك بعد عشر دقائق .. »

وتراجعت للوراء دون أن تحول عينيها عنى وبدأت
متشككة .. لهذا تحاملت على نفسى ، ولما كنت أرتدى
الجلباب ، فقد دسست قدمي فى خفين ومشيت وأنا أوشك

على فقدان الوعي .. أهبط الدرجات الطينية المخيفة ..
أمشى كالمخدر فى شمس العصر الحارقة وبعض
الفلاحين ينظرون لى فى دهشة .. لم أبد لهم على
مايرام على الاطلاق .. كنت أقول لهم فى سرى :
لا تندهشوا يا سادة .. أنا رجل ميت يمشى .. كما
يقول الأمريكيون عن المحكوم عليهم بالإعدام ..

- « تفضل يا دكتور .. »

قالها (عبد الواحد) فى ترحاب وهو جالس فى
(المضيفة) مع خمسة رجال ..

- « هل أنت بخير ؟ »

قالها أحد الرجال وهو ينظر لما عرفت الآن أنه
وجهى المريض الشاحب .. فرددت :

- « (شوية كده) .. الحمد لله على كل حال »

- « و (شوية كده) .. تشخيص لامعنى له لكنه
مقبول لدى الغالبية من غير المتخصصين .. أنت لن
تقابل (ابن النفيس) فى كل قرية على كل حال ..



فقد دسست قدمي في خفين ومشيت وأنا أوشك على فقدان
الوعي .. أهبط الدرجات الطينية المخيفة ..

وقبل أن أفهم ما يحدث وجدت كوب الشاي الأسود فى
يدى مع من يحلف على بالطلاق أن أشرب .. ثم دوى
رنين الهاتف الطويل المزعج قادمًا عبر القرى والنجوع ..

- « هذه المكالمة لك .. »

وجاء من يضع جهاز الهاتف الموضوع فى سلة متأكلة
من القش على حجرى ، فوضعت السماعة على أذننى لأسمع
الصوت وقد تداخلت معه آلاف الأصوات عبر القطر :

- « أنت أحمق يا دكتور .. »

قلت بصوت مبخوح :

- « هذا ليس جديدًا .. ولكن لماذا لا تستعمل
لفظة (ألو) كبداية يا أخى ؟ وكيف عرفت هذا
الرقم ؟ »

جاء صوت (فوزى) يقول بثبات لكن بحزم :

- « أنا أعرف كل شىء عنك .. ظننت هذا مفهوماً ..
لكنى عانيت أى معاناة للاتصال بقريتك هذه .. كان
من الأسهل أن أتى لأقول ما أريد .. »

- « وماذا .. ماذا تريد قوله ؟ »

- « لا أستطيع التصريح .. لكن دعنى أقل لك إنك
فى خطر داهم هنا ، يجب أن ترحل فوراً وقبل الليل
وهو قد صار دانيًا جدًا .. »

قلت فى وهن :

- « لو كنت حقاً تهتم بأمرى لأرحتنى من كل
علامات الاستفهام هذه .. لماذا لا تقول ما تعرفه
وينتهى الأمر ؟ »

- « لا أستطيع .. لكن بوسعى فقط أن ألمح .. لا تبقي
فى القرية ثانية واحدة .. »

تحسست صدرى الذى مزقه الألم وقلت :

- « وددت لو كان باستطاعتى أن »

قال فى استهتار :

- « هذا الذى تشعر به ليس سوى عسر هضم مع

أعراض قرحة معدية .. أنت بالغت فى الأكل والدسم
والتوابل على الغداء ، ولو كنت مكانك لأفرغت
معدتى الآن .. »

غريب هذا ! لا يوجد مخلوق يعرف أنى أعانى من
آلام صدر .. والغريب أنه عرف سببها أيضاً ..
عدت أقول بلهجة أكثر وهنا :

- « حسن .. وأين أذهب إذن ؟ »

- « لا أستطيع أن أخبرك .. كل ما بوسعى هو أن
أقول لك أين لا ينبغى أن تكون .. وأنت لا ينبغى أن
تكون فى القرية .. خطر ! »

ثم وضع السماعة وتركنى أرمق جهاز الهاتف
بعينين زائغتين ..

- « خير يا دكتور ؟ »

سألنى (عبد الواحد) وهو يمد لى يده الغليظة
بكوب الشاي كى أفرغ منه ..

قلت وأنا أجرع أول جرعة من المشروب المميت :

- « خير إن شاء الله .. »

وفى اللحظة التالية لم تعد معدتى تتحمل أكثر ،
وأفرغت كل شيء .. كل شيء ..

★ ★ ★

١٠ - رفعت إسماعيل ..

بعد أعوام قرأت قصة ممتعة من مختارات
(هتشكوك) اسمها (الهرب من يوم الخميس) ..

بطل القصة مهندس تنبأ له عراف بأنه سيموت
يوم الخميس السادس عشر من مارس .. ولما كان
الرجل - لأسباب طويلة - يوقن بصحة النبوءة . فقد
قرر أن يلجأ إلى طريقة مبتكرة .. قرر أن يركب
طائرة أسرع من الصوت تعبر به خطوط الطول ..
وبحسابات معقدة (مذكورة في القصة بدقة) استطاع
أن يفر من مناطق اليوم فيها هو الأربعاء إلى مناطق
اليوم فيها هو الجمعة .. أى أن يوم الخميس بالنسبة
له لن يزيد على نصف ساعة يقضيها على متن
الطائرة ..

لكن الرياح لا تأتى بما تشتهي السفن ، وسرعان

ما اضطرت الطائرة للهبوط لمدة نصف ساعة فى جزيرة بالمحيط الهادى .. ويتضح أن هذه الجزيرة ما زالت (تعانى) يوم الخميس .. طبعًا جن صاحبنا وطار عقله شعاعًا ، وراح يذرع ممرات المطار متوترًا بانتظار الإقلاع ثانية .. فقط ليحترق بعد دقائق على الممر بسبب خزان وقود طائرة محقة اضطرت للتخلص منه .

كنت فى تلك الساعات بحاجة إلى وصفة سحرية تخلصنى من الساعات الباقية من يوم الجمعة ١٧ يونيو .. لكنى لم أكن بهذه الثقافة الجغرافية الواسعة ، وحتى من يملكونها يهلكون كما تقول تلك القصة الرهيبة ..

★ ★ ★

لم أكن أتصور أن القىء سيظهرنى من الداخل إلى هذا الحد ..

كأتنى غسلت من مرضى ومن همومى ، الآن فهمت لماذا كان بعض الشباب الوجودى يخرجون إلى

الخلاء ليقينوا على سبيل الاشمنزاز الفلسفى ..
الغريب أن هذا الـ (فوزى) طبيب بارع حقًا .. حتى
أنا لم أعتقد لحظة أن هذه آلام قرحة .. لكن كما
تعرفون .. آلام القلب لدى الشباب هى سوء هضم
غالبًا وآلام الهضم عند الكهول هى نوبة قلبية غالبًا ،
وأنتم تعرفون أننى لم أعد شابًا .. كيف كان لى أن
أعرف أنه ما زال لدى بعض الشباب فى مكان ما ؟

ولكن لاوقت لهذا الهراء .. ما إن فرغت من
الاعتذار لضيفى الذى أصابه الذهول مع قدر لابأس
به من الاشمنزاز : حتى راح يردد فى غيظ مكبوت :

- « خذ راحتك .. ليس على المريض حرج ..
فليشفك الله .. »

ما إن فرغت من هذا حتى عدت للدار .. غسلت
وجهى من كل هذه الفوضى ، وبدأت إعداد حقيبتى ،
ثم توجهت إلى (رنيقة) وزوجها وقلت لهما : إن
هناك أشياء عاجلة طفت على السطح فى القاهرة ..

هناك فى القاهرة أشياء كثيرة من هذا الطراز الذى
يطفو .. طبعاً لم يفهما شيئاً لكنهما أبديا الأسف
لأننى راحل بهذه السرعة .

ولم تستغرق إجراءات الوداع أكثر من ربع
ساعة ..

حقاً لن أمل أبداً هواية أن أجعل الناس يشعرون
بأننى مجنون .. جئت القرية بلا سبب مفهوم ثم
تقيأت ورحلت دون سبب مفهوم ..

وبعد دقائق كنت أنظر إلى اليمين واليسار قبل أن
أعبر الطريق الرئيسى الخارج من قريتى ..

كانت الأسئلة تزدهم فى ذهنى ..

لو كان (فوزى شفيق) يعرف ما سيحدث - وحتى
هذه اللحظة برهن على هذا بنجاح - فلماذا لا يفصح
عن التفاصيل ؟ لماذا يكتفى بالتلميح ؟ كان بوسع
أن يخبرنى بكيفية مقتل المحامى ، وكيف ستخدعنى

الفتاة في مكتب البريد ، وكان بوسعه أن يخبرني أن
الدجاجة ستحترق ..

وكان يستطيع إخباري بالخطر الذي يتهددني ..
ثمة قواعد غامضة وضعها لنفسه ولا أعرف
سببها ..

لماذا يختار بعض (المحظوظين) ليلغهم بتلميحاته
هذه ؟ أنا لم أستفد الكثير منه إلا القلق الدائم ، لكن
طالبا متوسط المستوى مثل (محمود زاهر) أفاد منه
حقاً ..

من هو (فوزي شفيق) ؟ من أن جاء ؟ إلى أين
هو ذاهب ؟

تلك أشياء لن أعرفها في الوقت الحالي ..

الطريق يمتد أساساً ، واتك الإضاءة الرديئة المميزة
لدخول المساء .. لم يأت الظلام فحتاج إلى الكشافات
(ولن يكون لها دور على كل حال) ، ولم تعد الشمس
هناك حتى تصوير الرؤية واضحة .. كل شيء أزرق

باهت شاحب مختلط .. لا بأس .. سأتحمل دقائق أخرى
حتى يسود الظلام فعلاً ، ويمكننى عندئذ أن ألعب
بقواعده ..

أنا بحاجة إلى سماع أم (كلثوم) من المذيع ..
هذا وقتها .. مددت يدي أداعب أضرار الجهاز وعينى
على الطريق .. ولكن .. ثمة شيء مكسور .. هذا
الزر ليس فى

نظرت إلى المذيع لأرى موضع الخل ، ثم رفعت
عينى لأرى الهول قادمًا ..

كانت شاحنة عملاقة تندفع فى الاتجاه المعاكس ،
وعلى نفس الخط الذى أمشى عليه .. كيف ؟ هل جن
سائقها ؟ هل ؟

حاولت أن أتحاشاه فلم أفلح ..

وفى أجزاء الثانية التى تفصلنى عن التصادم ضغطت
على الفرملة بحركة متشنجة .. و

★ ★ ★

وداعاً إيها الغريب ..

كانت إقامتك قصيرة ، لكنها كانت رائعة ..

عسى أن تجد جنتك التي فتشت عنها كثيراً ..

★ ★ ★

الظلام .. الظلام ..

مقيد .. مكبل ..

ماذا حدث لى وأين أنا ؟ ولماذا تؤلمنى كل عظمة
من جسدى بهذا الشكل ؟

تلك الرائحة ...

لكننى حى .. أعرف هذا وأدركه .. لكن رأسى ثقيل
ولا أستطيع بلوغ استنتاجات ما .. إن ذهنى كالضباب ..
كالدخان الذى كان الضباط ينفثونه فى تلك الغرفة
المغلقة .. الحريق فى المطعم .. (هدى) تعطينى
جنيهااتها .. (عبد الواحد) يدعونى إلى الدخول ..
دخول بطنه الكبير .. (ماجى) فى قصر أبيها تطالع

قصصاً مخيفة ، و (هويدا) تصفع طفلها ، و (عزت) ينحت تماثيل لا معنى لها ..

ولكن .. ماذا ؟

★ ★ ★

حين أفقت ثانية أدركت أن على وجهي شيئاً ما ..
أستطيع تحرير وجهي بشيء من الجهد .. إن يدي
تتحرر .. ما كل هذه الأربطة ؟
تلك الرائحة ...

هذا الظلام الدامس .. لكن ضوءاً غامضاً مكتوماً
يتسرب من مكان ما ..

الآن أدرك أنني في قبو مظلم ..
إنني أرقد على الأرض فوق رمال .. ثمة أشياء
من حولى تتشح بالظلام لكن الضوء يرسم حدودها
الخارجية وهى حدود لا تريح النظر ..
أخيراً أتحرر ..

أزحف على ركبتي على الرمل ..

تلك الرائحة ..

يخيل إلى أن الضوء يأتي من شيء يشبه الكوة ..
أدنو منها .. أتحسسها .. أدرك أنها أقرب إلى باب
من معدن موصل من الخارج بعناية ، ويبدو أن
وراءه تراباً .. يبدو أنني تحت مستوى الأرض ، لكن
هناك ثغرة ما ، وهذه الثغرة تسمح بدخول شعاع
ضوء لا يزيد سمكه على رأس دبوس .. هذا الشعاع
- مع كل هذا الظلام - يلعب دور مصباح لا بأس به ..
على الأقل أعرف إلى حد ما أين أنا ..

عدت أنظر من حولي ..

تلك الرائحة .. التي هي مزيج من العطن ورائحة
عضوية غامضة وعطر .. أين شممتها من قبل ؟

صحت بصوت عال :

- « يا هوووه !! »

لكن الصدى جعل الصوت مرعباً حتى إنني قررت
الصمت قليلاً ..

أنا جائع وأشعر بظماً مروع .. كم لبثت هنا ؟
وعدت أنظر حولي .. هذه الأشياء الملقاة ما هي ؟
لماذا تلتف بهذه الأقمشة الرثة ؟
لماذا ألتف أنا نفسي بهذا الثوب الغريب ؟
هنا بدأت أفهم ..

★ ★ ★

هبطت الحقيقة علىَّ ببطء شديد .. ثم بدأت تتشكل
وتتخذ جسداً مادياً حقيقياً .. وشعرت بكل بصيلات
شعري تتصلب ..
أنا ميت !

لا .. بل اعتبرت ميتاً .. وتم دفنى هنا !
هذا واضح ولا يحتاج إلى ذكاء كثير ..
لماذا طارد هذا الرعب (إيجار آلان بو) وكتب عنه
قصصاً كثيرة ؟ كان يخشى أن يصاب بتييس العضلات
ويحمل إلى القبر وهو حي .. كانت هذه أسوأ كوابيسه
ومعه حق ..

حادث السيارة أدى إلى انقلابها ، وطرت أنا فاقد
الرشد ليجدونى على الأرض .. ولا بد أننى كنت
لا أتنفس وكان قلبى ساكناً كما سمعوه .. فحص
سريع وتحقيقات سريعة ، ثم حمل جسدى إلى القرية
والبدء فى إجراءات الدفن سريعاً من أجل تكريمى ..

بينما أنا حى !

وليتنى لم أكن ..

لا أصدق هذا لكنه حقيقى ..

قال (فوزى شفيق) إن ما سيحدث لى ليلة ١٧
يونيو سيكون شنيعاً .. سيكون شيئاً لا يصدق ..

كان محقاً كالعادة .. لم أتصور قط شيئاً أبشع من
هذا .. والكارثة أنه يحدث فعلاً ..

والآن أنا فى مأزق حقيقى ..

لا أحد يعرف الحقيقة إلا (فوزى) وهو كالعادة
سلبى صموت يراقب من بعيد ويكتفى بالإنداز والتلميح ..
فمتى يتكلم .. وماذا لو لم يتكلم ؟

سأموت من الظمأ ..

سأموت من الجوع ..

سأموت من الرعب ..

لكنه سيكون موتاً بطيئاً أكرهه بشدة ..

والساعة الآن ؟ أعرف فقط أنه النهار وأن شعاع الضوء الخافت لم يكن موجوداً فى المرة السابقة .

معنى هذا أننى (مت) فى المساء وبالتأكيد ثم دفنى عند الظهر أو العصر بعدها صحت للمرة الأولى ..

الآن أنا هنا منذ نصف يوم ، وبالنسبة للناس أنا ميت منذ يوم ونصف ..

إن ذهنى مازال متوقداً وليته لم يكن كذلك ..

تُرى متى أفقد الوعي أو أجن ؟

تُرى متى يأتى الخلاص ؟

طبعًا يعرف القارئ أنني لم أمت ... وإلا فكيف
أحكي لكم كل هذه الذكريات ؟

لكن كيف سأنجو ؟ وأية أهوال سأعيشها قبل أن أنجو ؟
من هو (فوزى شفيق) ومن أين جاء ؟ وماذا يريد ؟
كل هذه الأجوبة سنعرفها - أو نكتشف أننا لن
نعرفها أبدًا - فى الجزء الثانى من هذه القصة التى
مازلت أعتقد أنها مسلية برغم كل شيء ..

★ ★ ★

وداعًا أيها الغريب ..
كانت زيارتك رقصة من رقصات الظل ..
قطرة من قطرات الندى قبل شروق الشمس ..
لحنًا سمعناه لثوان هنالك من الدغل ..
ثم هزنا الرعوس ، وقلنا : إننا توهمناه ..
وداعًا أيها الغريب ..

نهاية الجزء الأول

روايات مصري الجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط
الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| 27 - أسطورة قتنا . | 1 - أسطورة مصاص الدماء . |
| 28 - أسطورة آخر الليل . | 2 - أسطورة النداهة . |
| 29 - أسطورة الجاثوم . | 3 - أسطورة وحش البحيرة . |
| 30 - أسطورة بعد منتصف الليل . | 4 - أسطورة أكل البشر . |
| 31 - أسطورة قتها . | 5 - أسطورة الموتى الأحياء . |
| 32 - أسطورة رفعت . | 6 - أسطورة رأس ميدوسا . |
| 33 - أسطورة أرض المغول . | 7 - أسطورة حارس الكهف . |
| 34 - أسطورة الشاحبين . | 8 - أسطورة أرض أخرى . |
| 35 - أسطورة دماء دراكيولا . | 9 - أسطورة لعنة الفرعون . |
| 36 - أسطورة الفصيلة السادسة . | 10 - أسطورة حلقة الرعب . |
| 37 - أسطورة الدمية . | 11 - أسطورة الكاهن الأخير . |
| 38 - أسطورة النصف الآخر . | 12 - أسطورة البيت . |
| 39 - أسطورة التوءمين . | 13 - أسطورة اللهب الأزرق . |
| 40 - وراء الباب المغلق . | 14 - أسطورة رجل الثلوج . |
| 41 - أسطورة فراتكنشتاين . | 15 - أسطورة النبات . |
| 42 - أسطورة الكلمات السبع . | 16 - أسطورة النافاراي . |
| 43 - أسطورة تختلف . | 17 - أسطورة حسناء المقبرة . |
| 44 - أسطورة رجل بكين . | 18 - أسطورة القرياء . |
| 45 - أسطورة بيت الأفاعي . | 19 - أسطورة بو . |
| 46 - أسطورة طفل آخر . | 20 - حكايات التاروت . |
| 47 - المنزل رقم (٥) . | 21 - أسطورة عدو الشمس . |
| 48 - المومياء . | 22 - أسطورة المينوتور . |
| 49 - أسطورة العشيرة . | 23 - أسطورة رعب المستنقعات . |
| 50 - في جانب النجوم . | 24 - أسطورة إيجور . |
| 51 - أسطورة الرقم المشنوم . | 25 - أسطورة الجنرال العائد . |
| 52 - أسطورة مملكة . | 26 - أسطورة المواجهه . |
| 53 - أسطورة النبوءة . | |

روايات عالمية للجيب

• صدر من هذه السلسلة •

- | | | | |
|----|--------------------------|----|---------------------------|
| 1 | فلاش جوردن . | 23 | كونغ و . |
| 2 | كنوز الملك سليمان . | 24 | كلب آل باسكرفيل . |
| 3 | دكتور نو . | 25 | مدينة مثل أليس . |
| 4 | حرب النجوم . | 26 | الحب زاز . |
| 5 | الفك المفترس . | 27 | مطار (٧٧) . |
| 6 | فوق مستوى الشبهات . | 28 | النطاق المسموم . |
| 7 | رحلة إلى مركز الأرض . | 29 | الجزيرة . |
| 8 | الغيبوبة . | 30 | لا تنظري الآن . |
| 9 | الشیطانة . | 31 | جزيرة الدكتور مورو . |
| 10 | لقاءات من النوع الثالث . | 32 | عرين الدودة البيضاء . |
| 11 | وجاء العنكبوت . | 33 | رحيق الملكات . |
| 12 | قبضة الشيطان الذهبية . | 34 | وصية الثلاثين ألف دولار . |
| 13 | نداء الأعماق . | 35 | العميل . |
| 14 | القتل دون مقدم أعقاب . | 36 | ما وراء العالم . |
| 15 | سلالة أندروميذا . | 37 | خلف جدار النوم . |
| 16 | الفرفة الحمراء . | 38 | الغريم الخفي . |
| 17 | وادي العناكب . | 39 | قضية الذئب . |
| 18 | صورة دوريان جراي . | 40 | الرجل الذي كان الخميس . |
| 19 | العالم المفقود . | 41 | الجزيرة الغامضة . |
| 20 | صانع الأمطار . | 42 | ٤٥١: فهرنهايت . |
| 21 | الف ليلة وليلة الجديدة . | 43 | دورة المذئوب . |
| 22 | سباق الموت . | 44 | حكايات أوسكار وايلد . |

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| 16 - شبح وشيطان . | 1 - قصة لا تنتهى . |
| 17 - اقتلوا بطوط . | 2 - حكايات من والاشيا . |
| 18 - توم ومن معه ! | 3 - صفر... صفر... سبعة . |
| 19 - خمسة منهم ! | 4 - إمبراطورية النجوم . |
| 20 - من فعلها ؟! | 5 - ذات مرة فى الغرب . |
| 21 - لا تدخلوا شيروود . | 6 - خيول ورماح . |
| 22 - قلعة السفاحين . | 7 - ألعاب إغريقية . |
| 23 - أرض .. قمر .. أرض . | 8 - مملكة الموتى . |
| 24 - فليدخل التنين . | 9 - الخناقون . |
| 25 - من أجل طروادة . | 10 - الاسم شكسبير . |
| 26 - عودة المحارب . | 11 - نداء الادغال . |
| 27 - آخر أيام الرايخ . | 12 - بين عالمين . |
| 28 - ١٩١٩ . | 13 - رجل من كريبتون . |
| 29 - الوطواط . | 14 - من بعد سوبرمان . |
| 30 - عبقري !! | 15 - إعدام فى البرج . |

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

| | | |
|--------------------------|-------------------------|--------------------------|
| 95 - الصراع الوحشي . | 48 - شيطان المافيا . | 1 - الاختفاء الغامض . |
| 96 - المعركة الفاصلة . | 49 - القضية القاضية . | 2 - سباق الموت . |
| 97 - الصقر الأعشى . | 50 - مهمة خاصة . | 3 - قتلاء الخطر . |
| 98 - القناص . | 51 - سم الكوبرا . | 4 - صائد الجواسيس . |
| 99 - مذاق الدم . | 52 - جبال الموت . | 5 - الجليد الدامي . |
| 100 - القضية القاصمة . | 53 - ذئاب ودماء . | 6 - قتال الذئاب . |
| 101 - انقلاب . | 54 - رحلة الهلاك . | 7 - بريق الماس . |
| 102 - نهر الدم . | 55 - أفعى يرشونة . | 8 - غريم الشيطان . |
| 103 - الجحرف . | 56 - الفهد الأبيض . | 9 - أنياب الثعالب . |
| 104 - الإعصار الأحمر . | 57 - عملية الأذغال . | 10 - المال الملعون . |
| 105 - عقارب الساعة . | 58 - أعداء بطل . | 11 - المؤامرة الخفية . |
| 106 - الأفعى . | 59 - انتقام شيخ . | 12 - حلفاء الشر . |
| 107 - اتحاد القتل . | 60 - دونا كارولينا . | 13 - أرض الأهوال . |
| 108 - الفخ . | 61 - ملائكة الجحيم . | 14 - عملية موت كارلو . |
| 109 - قبضة الشر . | 62 - ملك العصافير . | 15 - إمراطورية السم . |
| 110 - اغتيال . | 63 - الجاسوس . | 16 - الخدعة الأخيرة . |
| 111 - معبد الجريمة . | 64 - تحت الصفر . | 17 - انتقام العقرب . |
| 112 - الفريق الأسود . | 65 - الجليد ش . | 18 - قاهر العمالقة ج ١ . |
| 113 - رياح الخطر . | 66 - ألف وجه . | 19 - أبواب الجحيم ج ٢ . |
| 114 - ممر الجحيم . | 67 - الجحيم المزدوج . | 20 - ثعلب الثلوج . |
| 115 - بلارحمه . | 68 - قلعة الصقور . | 21 - مضيق النيران . |
| 116 - مهرجان الموت . | 69 - أجنحة الانتقام . | 22 - أصابع الدمار . |
| 117 - عمالقة الجبال . | 70 - أباطرة الشر . | 23 - فارس اللؤلؤ . |
| 118 - الأربعة الكبار . | 71 - ضد القانون . | 24 - الضباب القاتل . |
| 119 - فوق القمة . | 72 - شريعة الغاب . | 25 - الخنجر الفضي . |
| 120 - السنيورا . | 73 - المعتقل الرهيب . | 26 - آخر الجبابرة . |
| 121 - وجه الأفعى . | 74 - الدائرة الجهنمية . | 27 - الجوهرة السوداء . |
| 122 - الأصابع الذهبية . | 75 - أسوار الجحيم . | 28 - قلب العاصفة . |
| 123 - المستحيل . | 76 - النهر الأسود . | 29 - الصراع الشيطاني . |
| 124 - اللمسة الأخيرة . | 77 - عمالقة مارسيليا . | 30 - الرمال المحرقة . |
| 125 - عملية النيل . | 78 - صحراء الدم ج ١ . | 31 - الخطوة الأولى . |
| 126 - ساعة الصفر . | 79 - صفقة الموت ج ٢ . | 32 - خيط الذهب . |
| 127 - نقطة الضعف . | 80 - وكر الارهاب ج ٣ . | 33 - القوة (أ) . |
| 128 - الصعوة . | 81 - الرجل الآخر ج ١ . | 34 - مارد الغضب . |
| 129 - القراصنة . | 82 - الأخطبوط . | 35 - قراصنة الجو . |
| 130 - محيط الدم . | 83 - معركة القمة . | 36 - ذنب الأحرار . |
| 131 - الحدود . | 84 - جزيرة الجحيم . | 37 - مخبأ الشيطان . |
| 132 - فريق المستحيل . | 85 - بمسة الشر . | 38 - تعبئة المحترفين . |
| 133 - ثمر التلوج . | 86 - الثعلب . | 39 - أعماق الخطر . |
| 134 - الأبطال . | 87 - خط المواجهة . | 40 - مهنى القتل . |
| 135 - الأستاذ . | 88 - سفير الخطر . | 41 - الانتحاريون . |
| 136 - المغامرة الكبرى . | 89 - قضية السفاح . | 42 - الهدف القاتل . |
| 137 - مدينة الذئاب . | 90 - الهدف . | 43 - المخاطر . |
| 138 - الضحايا . | 91 - الوجه الخفى . | 44 - العين الثالثة . |
| 139 - الوحش الأدمى . | 92 - الخطر . | 45 - القنصان الجليدية . |
| 140 - المواجهة الأخيرة . | 93 - أرض العدو . | 46 - لهيب الثلج . |
| | 94 - كتيبة الدمار . | 47 - الرضاصة الذهبية . |

| | | |
|---------------------------|---------------------------|---------------------------|
| 95 - القوة السوداء . | 48 - سجن القمر . | 1 - أشعة الموت . |
| 96 - بذور الشر . | 49 - غزو الأرض . | 2 - اختفاء صاروخ . |
| 97 - لهيب الكواكب . | 50 - الأسطورة . | 3 - مدينة الأعماق . |
| 98 - نيران الكون . | 51 - الخلية القاتلة ج ١ . | 4 - غزاة الفضاء . |
| 99 - الانفجار . | 52 - العدو الخفى ج ٢ . | 5 - القنبلة الغامضة . |
| 100 - الزمن = صفر . | 53 - أمطار الموت . | 6 - زائر من المستقبل . |
| 101 - الحرياء . | 54 - عبر العصور ج ١ . | 7 - جنون طائرة . |
| 102 - التوهم الرهيب . | 55 - أسرى الزمن ج ٢ . | 8 - الأرنجاق القاتل . |
| 103 - الأرض المفقودة . | 56 - شيطان الأجيال ج ٣ . | 9 - صراع الجواس . |
| 104 - أنياب ومخالب . | 57 - منطقة الضباب . | 10 - الفارس المجهول . |
| 105 - وجوه من تلج . | 58 - معركة الكواكب ج ١ . | 11 - منطقة الرعب . |
| 106 - بلا أثر . | 59 - جحيم أرغوان ج ٢ . | 12 - طريق الأشباح . |
| 107 - لعنة الدم . | 60 - أرض العمالة . | 13 - الزمن المفقود . |
| 108 - مصيدة الفضاء . | 61 - الكابوس . | 14 - نداء النجوم . |
| 109 - الدائمة . | 62 - سادة الأعماق ج ١ . | 15 - مثلث القموض . |
| 110 - الضجوة السوداء . | 63 - المحيط الملتهب ج ٢ . | 16 - الوياء الجهنمي . |
| 111 - كوكب الطفافة . | 64 - السيف البلورى ج ١ . | 17 - نضج الخلود . |
| 112 - بصمة الموت . | 65 - أبواب الموت ج ٢ . | 18 - ظلال الفزع . |
| 113 - حرب الفيروسات . | 66 - الشمس الزرقاء . | 19 - عيون الهلاك . |
| 114 - الرعب . | 67 - شيطان الفضاء . | 20 - العقول المعدنية . |
| 115 - العدو الخارق . | 68 - عقول الشر . | 21 - أطراف الماضي . |
| 116 - العاصفة النووية . | 69 - العالم الآخر . | 22 - ليلة الرعب . |
| 117 - فارس الزمن . | 70 - الستار الأسود . | 23 - بصمات السحرة . |
| 118 - ألف عصر . | 71 - أمير الظلام . | 24 - الضوء الأسود . |
| 119 - زمن الدم . | 72 - ابن الشيطان ج ١ . | 25 - صحوة الشر . |
| 120 - الفارس الثانى . | 73 - مبعوث الجحيم ج ٢ . | 26 - لعنة الفضاء . |
| 121 - المجهول . | 74 - الضراء الجهنمي ج ٣ . | 27 - الفخ الزجاجى . |
| 122 - الظلال الرهيبة . | 75 - الرحلة الأخيرة ج ٤ . | 28 - النهر المقدس . |
| 123 - دائرة الظل . | 76 - الاحتلال ج ١ . | 29 - الإيقام المفتسر . |
| 124 - الغزاة . | 77 - المقاومة ج ٢ . | 30 - النار الباردة . |
| 125 - كرة النار . | 78 - الصراع ج ٣ . | 31 - رنين الضمير . |
| 126 - لهيب الرعب . | 79 - التحدى ج ٤ . | 32 - الأفق الأخضر . |
| 127 - طريق النجوم . | 80 - النصر ج ٥ . | 33 - حارس الأرواح . |
| 128 - الزمن الآخر . | 81 - رمز القوة . | 34 - وحش المحيط . |
| 129 - وراء العقل . | 82 - حصن الأشرار . | 35 - امرأة الغد . |
| 130 - القوة . | 83 - أرض العدم . | 36 - الموت الأزرق ج ١ . |
| 131 - العاصفة . | 84 - كنز الفضاء . | 37 - السماء المظلمة ج ٢ . |
| 132 - الرمال الحية . | 85 - الأمل الفيروزي . | 38 - من وراء النجوم ج ٣ . |
| 133 - نقطة التماس . | 86 - الإمبراطور . | 39 - الثلوج الساخنة . |
| 134 - سادة الكون . | 87 - نصف الى . | 40 - علامات الخوف . |
| 135 - هودو . | 88 - الانفجار الحى . | 41 - مملكة النار . |
| 136 - الأحراش الفسفورية . | 89 - البركان . | 42 - الأرض الثانية . |
| 137 - الشر . | 90 - رعب فى الأعماق . | 43 - ثقب فى التاريخ . |
| 138 - الأعماق . | 91 - ضد الزمن . | 44 - الخارقون . |
| 139 - حرب الأشباح . | 92 - الرحلة الرهيبة . | 45 - السحاب الأحمر . |
| 140 - قراصنة الزمن . | 93 - نقطة الصفر . | 46 - الكوكب الملعون . |
| | 94 - الساحر . | 47 - المقاتل الأخير . |